السنة الرابعة عشرة   العدد ١٠ تشرين الاول   ١٩١١

المشرق

مركز الولايات المتحدة الاقتصادي

تعريب خطاب القاهُ المسيو قسطنطين مقروماتيس
استاذ التجارة في مدرسة الآباء اليسوعيين في الاسكندريَّة

لمَّا نشر المستر تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة سابقاً كتابهُ المعنون بالحياة النامية (La vie intense) قال في وصفهِ المسيو دي فوكواي احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة المبرّزين: «هوذا كتاب اتانا من وراء البحر نعدُّهُ كَدَوِيّ السباع اتانا من العالم الجديد ولاح لعالمنا العتيق كمظهر جليل وشاهد عجيب على ما حبلت بهِ القرون الاخيرة من العظائم ممَّا لا يعيرهُ بالًا ذوو البصيرة القاصرة والرأي الضعيف ... وكأني باهل اميركة في كلّ صفحة من هذا التأليف يقولون لنا متهكمين: هيَّا انظروا قارتنا وقابلوها مع مواطنكم العتيقة تروا انَّ كلّ شيء عندنا اعظم شأنًا وارقى عمرانًا من العالم القديم»

☆

كلٌّ يعلم بواعث الانقلاب الاميركاني بعد تملُّك انكلترَّة على الولايات المتحدة وذلك ان بريطانية العظمى بعد تجاوز الحرب التي وقعت بينها وبين فرنسة مدَّة سبع سنوات (١٧٥٦ — ١٧٦٣) رأت خزائنها في حاجة الى المال فعوَّلت على وضع الضرائب على مستعمريها في اميركة دون مخابرتهم وطلب رضاهم. فاعتبر الاميركيُّون هذه المعاملة كضربة لازبة على شرفهم واعلنوا بعصيانهم على الاستبداد الانكليزي. وزاد النزاع تفاقمًا الى ان قامت الحرب على ساق بين الدولة الامّ وسليلتها ودارت بينهما سجالًا ثم انَّ واشنطون نشر في ٢٤ تموز سنة ١٧٨٦ اعلانهُ باستقلال الولايات

المتحدة ولم يزل يجاهد ويكافح في سبيل تحرير وطنهِ حتى فاز الفوز التام وخلَّص بلاده من ربقة بريطانية العظمى واقرَّت له الدول بفوزهِ في مؤتمر فرسالية سنة ١٧٨٣. فعرفت انكلترة انها اتت بذنبٍ استعماري عظيم فندمت على عملها ولات حين ندم. ثم ما لبث الاميركيون ان باشروا بوضع دستور لسياسة تلك الاقطار الواسعة الارجاء. فصنَّفوا دستورهم الجمهوري موافقاً لطبائع الاهلين وعددهم اليوم ينيف على ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ ولاحوال البلاد التي لا تقلّ مساحتها عن ٩,٣٨٦,٠٩٣ كيلومترًا مربعاً. فتراهم جارين على مبادئ الحرّية الصحيحة يعطون كلّ ذي حقّ حقهُ وينشطون كلّ اصحاب العمل ويفتحون باباً رحباً لكلّ رقيّ في الادبيَّات والنظريات والعمليَّات فبلغ مركزهم الاقتصادي مبلغاً لم تبلغهُ الدول الاوروبيَّة الّا بالجهد الجهيد بل يجوز القول انَّها نالت السيطرة على كلّ الممالك بمحصولاتها الزراعيَّة ومناجمها وصنائعها المدنيَّة. امَّا التجارة فعمَّا قليل ستحصل على الرتبة الثانية فيها

لمَّا رأى الاميركيُّون تقدُّم ولاياتهم العجيب من حيث الاقتصاد ووفرة المحصولات احتاطوا لنفوسهم من المزاحمة الاجنبيَّة فقام منروي (Monroë) سنة ١٨٢٣ وجاهر بذلك المبدأ المنسوب اليهِ « اميركا للاميركيين » الذي لم يزل يرسخ في الاذهان حتى بلغ معظم رسوخهِ في عهد الرئيسين ماكنلي ودنغلي (١٨٩٠ — ١٨٩٧) اللذين سعيا بوضع ضرائب باهظة على واردات اوربة كادت تخيب آمال كلّ تاجر اجنبيّ. ولنا مثال على ذلك في صورة المصوّر ميليه (Millet) الشهير بيعت في باريس بثمن مليون فرنك فلم تدخل الى الولايات المتحدة الّا بأداء مليون ثانٍ كحقّ اجازة.

على انَّ اميركا لم تقتنع فقط بصيانة بلادها من المزاحمة الاجنبيَّة بل حاولت في هذه السنين الاخيرة ان تُصدر محصولاتها الى البلاد الاجنبيَّة وتوسع نطاق تجارتها مع دول العالم القديم. فترى اليوم الولايات المتحدة حائزة على سيادة التضامن الاميركي العام (Panaméricanisme) بحماية محصولاتها ثم بخطتها الاستعماريَّة المتواصلة واخيرًا بتصريحها عن تولُّجها في السياسة الدوليَّة العامَّة. والحقّ يقال انَّ الوسائل التي لديها تكفل لها بما تشاء من النجاح. فان لحظتَ سعة الولايات الاميركيَّة او حسن تربتها وجدتَها صالحةً لانواع المرافق وضروب المحصولات. فانَّ فيها مفاوز تنيف خمسة

اضعاف على سعة فرنسة وتصلح لكلّ الغلات. فتأتيها جابرة انهارها باطيان مخصبة تسحوها في مسيرها كما يسحو نيل مصر الطين الذي يخصبُ اراضيها فيستطيع الاميركيون ان يزرعوا الكميَّات الوافرة من القطن والتبغ والارزّ وقصب السكَّر وغير ذلك. ثمَّ لها في مشارف الجهات الغربيَّة سهولٌ لا تكاد تُحصر وكلّها تليق بتربية المواشي والخيل والدواب التي تسرح في تلك المراعي الطيبة ممَّا ربما يُحتاج اليها للمجازر او للنقل او للركوب

هذا وفي بواطن التربة الاميركيَّة احواض واسعة من الفحم الحجري تبلغ سعتها ٧٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع. اما المعادن الثمينة فتُرى حيثما كان ويسهل تعدينها

فكلّ هذه الثروة والاسباب المتوفرة لم يهملها الاميركيُّون فاندفعوا الى استثمارها والاعتناء بها بنشاط غريب ولم يدَّخروا وسعهم في اتخاذ اقرب الوسائط واحدث الاكتشافات الفنيَّة دون ان يخشوا بشيءٍ من المصاريف والنفقات لبلوغ غاياتهم كما سترى في الفصول الآتية

١ الزراعة

انَّ محصولات الزراعة في الولايات المتحدة وافرة جدًّا ومتنوّعة. ويساعدهم على توفيرها البالغ مع هوادة اسعارها اتخاذهم لاصناف الآلات الزراعيَّة. وما يستفاد من المعلومات الرسميَّة التي نشرتها وزارة الزراعة انَّ محصول المزروعات في السنة ١٩٠٩ لجميع الولايات المتّحدة اكسبهم ٤٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. وكان السبق لمحصول الذرة فبلغ ١,٠٣١,٠٠٠,٠٠٠ هكتولتر اي ٨٣ في المئة ما يقدر ثمنهُ ٨,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. يليه القطن البالغ ٢,٥٠٠,٠٠٠ طن اي ٦٤ في المئة بثمن ٤,٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ف. ثمَّ القمح ٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠ هك. اي ٢٥ في المئة بسعر ٣,٧٢٥,٠٠٠,٠٠٠ ف. ثم علف الحيوان بسعر ٣,٣٢٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الشوفان ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ البطاطا ١,٠٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ التبغ ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف. فهذه المحصولات الغريبة اذا ما احتكرها اصحاب النقابات تصرَّفوا فيها كيف شاؤوا. مثالهُ نقابة القمح (Trust des blés) التي هي في حوزة ستَّة من الرماليين يدعوهم الشعب بالخنازير الستة (of six pigs) ثلاثة منهم يهود فيخزنون في اهرائهم نحو ٤٠٠,٠٠٠ هك. من القمح ولا يستطيع احد في اي سوق كان ان يجاريهم فيسعِّرون ثمن الخبز كما

يشاؤون. هذا ولا عجب في ما رأيت من وفرة المحصولات الاميركيَّة ان امعنت النظر في حالة الزارع الاميركي وفي مساعي وزارة الزراعة في واشنطون

فالزارع الاميركي الذي تراه خصوصاً في ولايات ايلينوا ويوا ونبرسكا هو رجل شديد البنية كامل الصحة واثق بنفسهِ مفتخر بوطنهِ الذي يعدُّهُ اوَّل مواطن الدنيا ويدعوهُ عالم المستقبل اما اوربا فيعتبرها كبلاد عجزت وهرمت فحان زمن هبوطها. وهو مع شغلهِ هائم في طلب العلم يبتغي لنفسهِ ولاولاده ذكورًا واناثاً احراز المعارف والتهذيب العقلي فشتَّان بينهُ وبين الفلَّاح الاوربي القنع بخمولهِ

وعلى وزارة الزراعة رجل همام ذو علم وعمل اسمهُ جمس ولسون وهو اليوم يفرغ كنانة جهدهِ بان يُلحق بكلّ مدارس اميركة مكتباً زراعياً عملياً. ودوائرُ هذه الوزارة متسعة جدًّا تنفق عليها الدولة ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك في السنة. وعلى عكس ذلك كانت انكلترة منذ عدَّة سنين تسعى في انشاء وزارة خاصة بالزراعة فلماَّ تمَّ الامر وجد اربابُ التدبير انهم ليسوا في حاجة الى تلك الوزارة اذ قد ماتت الزراعة في بريطانية

ويلحق بوزارة الزراعة الاميركيَّة مرصد للآثار الجويَّة يُرسل كلّ يوم خارطة احوال الجوّ الى المراكز المهمَّة. فهذه الخرائط البالغ عددها ٣٧٠ توزَّع بالبريد في كلّ الانحاء فينتفع بها ٤٢,٠٠٠ زرَّاع. والعلماء اخذوا يبنون على هذه الجداول علماً خاصاً لمعرفة تقلُّبات الجوّ سلفاً

وقد اضافوا الى وزارة الزراعة منذ عهد قريب فرعاً خصُّوهُ بدرس المزروعات الصناعيَّة. وهناك مئتان من العلماء الاختصاصيين يبحثون في آفات القطن والتبغ والاشجار المثمرة ومحصولات الغابات

وللوزارة عينها فرع آخر جلُّ اهتمامهِ في ضروب الحيوانات ودرس احوالها وتنميتها وصيانتها من الامراض المختلفة مع فحص الحيوانات الواردة من الخارج كالصادرة من البلاد

وفي واشنطون مكتب خاص غايتهُ ارشاد كلّ الزرَّاعين الى ما يحتاجون اليه في اشغال الفلاحة. وخلاصة الكلام انَّ وزارة الزراعة في الولايات المتحدة تسعى

غاية جهدها في ان تجعل لاميركا المقام الاوّل ليس فقط من حيث وفرة الايرادات والمحصولات الوطنيّة لكن من حيث جودة اصنافها ايضاً

٣ الصناعة

للولايات المتحدة السهم الافوز في استخراج المناجم ثمَّ في اشتغال المعادن. وقد استفادوا من حماية انسجتهم عن المزاحمة الاجنبيّة ثم اعتنوا بتحسين اصنافها بسرعة كما انَّك تراهم يترقّون كلَّ يوم في استحضار الحليّ ومواد الزينة

(الفحم الحجري) انَّ مبالغة الاميركيين في استعمال الادوات المستحدثة قد أدّى بهم الى ان يستخرجوا في السنة ٣٨٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من الفحم الحجري وذلك كناية عن ثلث ما يُستخرج منهُ في كافّة المعمور. فانَّ انكلترة المعروفة بوفرة مناجمها لا تستخرج اكثر من ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ والمانية ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ فقط

واهمُّ ما لاميركا من الاحواض الغنيّة بالفحم موقعها في بنسلفانية وفي يوا وفي تكساس والجبال الصخريّة. وترى في وادي مونتغاهيلا قريباً من مدينة بتسبورغ شركة للفحم معروفة بيكرون (Beck - Run) تملك منجماً يأخذ الداخل اليها الاندهال لحسن تنظيمها . فاذا ولج الزائر في قلبها رأى سرباً عظيماً واسع الارجاء وان سار الى اقصى طرفهِ وجد أحداث العمّال يديرون آلات ميكانكيّة تقطع في اليوم من منجم الفحم ما يساوي وزنهُ ٩٠ طنّاً . فاين هذا من حفر الفعلة الانكليز والفرنسويين الذين يشتغلون بالمعول او بالمقطع. ومع وفرة تلك الكميّات الغريبة من الفحم قد قدّرت احدى المجلّات العلميّة انّ الولايات المتحدة تملك حاجتها منهُ لمدّة ٣٠,٠٠٠ سنة . فقس عليهِ غنى تلك الاصقاع بما يُعدُّ اليوم من اكبر اسباب الثروة

(البترول) مناجمهُ كمناجم الفحم في ترقٍّ مستديم والجيولوجيّون لا يزالون يبحثون عن احواضٍ جديدة فما خاب مسعاهم اذ وجدوا منها كميّات وافرة في بنسلفانية وفي اميركا الوسطى في تكساس وكاليفرنية. وفي بلاد كاليفرنية هذه مدينتان تُعتبران كمركزين جليلين لترقّي الصناعة واليهما يتقاطر كل سنة الوف من الصنّاع تزيد بهما سان فرنسكو التي أُحصي عدد سكانها حديثاً فبلغ ٤١٧,٠٠٠

الف ومدينة لوس انجلاس البالغة ٣١٩,٠٠٠ وهي تنمو نموًّا غريباً لوفرة مناجم البترول التي فيها. امَّا محصول اميركة السنويّ من البترول فبالغ ١٧,٠٠٠,٠٠٠ طنّ اعني اكثر من ضعف ما تستخرجهُ روسيَّة من احواضها (٨,٠٠٠,٠٠٠ طنّ)

وكما احتكر بعض المثرين في اميركة تعدين الفحم كذلك امتلك غيرهم نقابة البترول التي هي في حكم «ستندارد اويل» (The Standard Oil C^{ny}) ولهذه الشركة معمل يسمَّى ويتنغ (Witing) مساحتهُ ١,٢٨٠,٠٠٠ متر مربع وهذا المعمل يخصّ روكفلر المثري الشهير وهو يربح منهُ في السنة ربحاً خالصاً ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني قريباً من مليون كلّ يوم. وللشركة المذكورة عشرون مركباً بخارياً لنقل البترول من اميركا الى همبورغ حيث جهّزت لها مخازن وعمّالاً (Deutsche Amerikanische Petroleum Gesellschaft) لترزيع البترول في كلّ انحاء اوربّة. وممَّا يُحكى ان روكفلر ملك البترول يجلس كلّ صباح ويُحدّد الاسعار التي يُقتضى على عمّالهِ ان يستوفوها في مبيع محصولهم

وقد افادت المجلة التي روينا عنها المعلومات عن الفحم الحجري انَّ مناجم البترول اذا بقيت على حالتها كما هي اليوم سوف تنفد تاماً بعد ٢٥ سنة. فان حدث الامر فقدت عدَّة صنائع محرّكها الكبير كالاتوموبيل والمراكب الجويَّة وادوات الطيران وعلى الاخصّ البحريَّة الحربيَّة واكثرها يسير بقوَّة البترول. ولذلك ترى الجيولجيين يصرفون غاية الجهود في اكتشاف منابع بتروليَّة جديدة تلافياً لذلك الخطر

(المعادن) ومن معادن اميركة الهمَّة الحديد والنحاس والذهب والفضة. فان لها السباق على كلّ الدول في تعدين الحديد والنحاس ومحصولها من الحديد نصف محصول العالم باجمعهِ فانها تستخرج منهُ في السنة ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ وبعدها المانية التي تستخرج ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ طنّ ثمَّ انكلترَّة ١٨,٠٠٠,٠٠٠. ولاميركة الرتبة الثانية في تعدين الذهب بعد افريقية الجنوبيَّة فتستخرج ما يساوي ٥٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. وهي الثالثة في استحجار الفضة بعد بلاد المكسيك فيقدَّر محصولها بما يساوي ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف

٣ اشتغال المعادن والصناعات

كما ان اميركة سيدة المعمور بوفرة معادنها كذلك هي اليوم في مقدَّمة الدول

باشتغال المعادن وتركيب الآلات واجهزة المراكب والسكك الحديدية وادوات الزراعة والكهرباء واستحضار المناغ . فليس بلد من البلاد قد استعمل الآلات الميكانيكية لكلّ اصناف الشغل كبلاد اميركا ولاسيما في مدنها بتسبورغ وفيلادلفيا ونيورك وكلفلند وشيكاغو وبوفالو

﴿ بتسبورغ ﴾ هي لاميركا بمثابة شفلد لانكلترة . فلا ترى في بتسبورغ ذلك التهم الذي يُرى في شيكاغو لجمع المال واكتناز الدراهم كما انك لا تجد فيها تلك المضاربات الفاحشة والمقامرات التجارية التي امتازت بها نيويرك او ذلك الشرف والتأنق اللذين في بُسطن . وانما بتسبورغ مدينة العمل تمثّل قوّة الانسان الشغيل الذي يكسوهُ القتار ويتساقط من جبينه العرق وهو يذلل لمشيئته صلابة الحديد وضرّم النار . فهناك حاضرة اشغال الفولاذ تتولّى تدبيرها « جماعة الفولاذ » (The United States Steel Corporation) المنشأة سنة ١٩٠١ برأس مال بالغ خمسة مليارات جمرءُه من اقساط ممتازة يفائدة ٧ في المئة ومن اسهم عادية ومبالغ مالية شتى واملاك وعقارات . ورئيس هذه الشروعات الجبارية هو ذلك الرجل العظم ونابغة المعاملات المسمّى كرنجي . فبهمته وهمة معامليه يُستحضر في السنة كمية من الفولاذ بالغة ٥،٠٠٠،٠٠٠ طن . وتشمل نقابة الفولاذ عدّة شركات تساعدها في العمل منها شركة السكك الحديدية من بتسبورغ الى بُحيرة أيريه (Erié) التي لها سبعون آلة محرّكة و٤٠٠٠ قطار للبضائع و٤٠ قطاراً للركاب . ثم شركة منجم اوليفه (Cie minière Olive) التي تستخرج في السنة ٥،٠٠٠،٠٠٠ طن من القلزّات ثم شركة بحرية لها مرفأ خاصّ على بحيرة أيريه مجهز بكل الادوات لتفريغ اوساق السفن بسرعة غريبة حتى ان المعادن بعد وصولها الى المرفأ بأربع عشرة ساعة تُلقى في مواقد المعامل في بتسبورغ . وكل هذه الشركات تعمل بانتظام ونشاط عجيبين على مقتضى الطرائق المستحدثة لا يفوتها شيء من اسباب الترقي فاعمالها تقضي بالعجب وتجلب الثناء العام على رئيسها كرنجي وعلى الصنّاع والعمال .

وليس بعيداً من بتسبورغ معامل كبرى تُعرف بمعامل وستنغهوس (Westing-house) تفوق على كلّ مصانع العالم لتجهيز الآلات الكهربائية وصاحبها جرج وستنغهوس هو الذي اكتشف لجام الهواء المضغوط لضبط الآلات المتحرّكة بالبخار

او الكهرباء. وهـذا اللجام شائع اليوم في كلّ انحاء المعمور ويُصنع منهُ في معامله ستون لجاماً في الساعة ومن هذا المعمل يخرج كل يوم ستون آلة محرّكة قوّة كلّ آلة مائتا حصان. ولهذا الرجل الهمام في بتسبورغ منزل موقعهُ عند محطة البلد ولهُ في المحطة قطار خاصّ بهِ وبحاشيتهِ فاذا احتاج الى السفر سافر من وقتهِ وعمّالهُ معهُ وهو لا ينقطع عن شغلهِ. فمن يعرفهُ يؤكد انّهُ مثال الاميركيّ المحض في عملهِ وحزمهِ وثباتهِ

وفي جوار مدينة (بوفالو) معمل الشركة الاميركيّة التي تعالج مياه شلّالات نياغارا لتوليد الحركة وتوزيعها على المعامل (The Niagara Falls Power C^{o}.). وهذه الشركة قد نالت امتيازاً بان تحوّل من مياه نياغارا ما يكفي لتوليد قوّة ٢٠٠,٠٠٠ حصان بخاري وبذلك اصبحت تلك الشلّالات التي يُعد منظرها من عجائب الطبيعة خاضعةً خاضعة لمشيئة البشر فيستفيدون منها قوّة لتسيير السكك الحديديّة ولتحريك ادوات المعامل ولانارة المدن وغير ذلك

وان سرت الى فيلادلفية وجدت فيها اكبر مصانع الدنيا لتركيب الآلات المحرّكة لقطارات السكك (Locomotives) . اشتهر بينها مصنع بلدوين (Baldwin) الذي يربي عدد عمّالهِ على ١٥,٠٠٠ رجل فيصطنعون في كلّ اسبوع اربعين آلة كاملة باهبتها فانتشرت في كلّ انحاء العالم تراها تجرّ القطارات على الاسلاك الحديديّة في اميركة واليابان وروسيّة بل انكلترة نفسها فانّ في خطّ ميدلند منها اربعين آلة. ولعلّ سائلاً يسأل وكيف رضي الانكليز بتلك الآلات الاميركيّة؟ فالجواب انهم اضطرّوا الى الامر بعد اعتصاب العملة الميكانيكيين في انكلترة فانّ ارباب المعامل اعلنوا انهم لا يستطيعون ان يسلّموا ولا آلة واحدة لتسيير السكك الحديديّة قبل ١٨ شهراً. فتعهّد حينئذٍ بلدوين انّهُ بعد مدّة ستة اشهر فقط يستحضر لهم ما شاؤوا من الادوات المحرّكة. فكان عملهُ فوزاً باهراً للصناعة الاميركيّة على الصناعة الانكليزيّة والاوربيّة كلها. فترى انّ النزاع قائم على ساق بين العالم الجديد والعالم القديم والجديدُ واثق بالغلبة

٦ الصنائع لاستحضار المآكل والاطعمة

هذا فنّ مستحدث سبق اليهِ الاميركان بان يستحضروا من المآكل والاطعمة ما يُنقل الى كلّ اطراف العالم. فانّ الولايات المتحدة ابتكرت فنّ تمليح اللحوم وحفظ

الدهون. وفي شيكاغو مجازر ومسالخ عظيمة جداً مجهزة بضروب الآلات لقطع اللحوم اشهرها مجازر ارمور (Armour) وسويفت (Swift) وليبي (Libby) فان دخلتها اخذ منك العجب كلّ مأخذ. فهناك قاعات منظمة واسعة فيها عدد لا يُحصى من العمال يجرون في عملهم مجرى رقّاص الساعة لا يخلّون عنه شعرة . فترى المواشي تُساق متوالية فتُجزّر وتُسلخ وتنظّف وتقطّع وتملّح وتوضع في العلب المعدّة لها. وذلك بسرعة البخار والكهربا. فانّ مجازر سويفت تجزر في اليوم ٢٧,٠٠٠ خنزير وتعدّ ٥٠,٠٠٠ كيلو من النقانق (سلسيسو). وفي مجزر ليبي آلة تحوّل الخنزير من حيوان الى نقانق في ظرف ثلاثة ارباع الساعة

واميركة اغنى الاقطار بالمواشي والقطعان التي كلها تسرح مهملة في المراعي صيفاً مع شتاء. يحرسها رُعاة راكبون الخيل يدعونهم بقّارين (Cow-boys). وتلك القطعان قد استحقت بجودتها ان تُدعى « ملوك المواشي » (the Cattle-kings) ولاميركة السبق على كلّ البلاد بعدد بقرها (البالغ ٧٢,٥٠٠,٠٠٠ راس) وبغالها (٤,٠٠٠,٠٠٠) وخنازيرها (٦٦,٠٠٠,٠٠٠) . وقد حسّنوا تربية الغنم (٦٢,٣٥٠,٠٠٠ راس) والخيل (٢٢,٠٠٠,٠٠٠) التي يساوي ثمن مجموعها ١٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

واشتهرت مدينتا سنت پول ومينياپوليس بطاحنهما واستحضارهما للدقيق وتوزيعه على سائر البلاد

ولاميركا معامل كبيرة تُصطنع فيها الجعة (البيرة) التي تجاري اجود مشروبات اوربة اخصّها في جهات شيكاغو وميلفوكا في شرقيّ البلاد وشماليها. وبلغت عندهم صناعة تجهيز الفواكه مبلغاً عظيماً. ولهم كذلك معامل واسعة لا سيّما في الجنوب واواسط البلاد يستقطرون فيها الذرة والبطاطا والدبسيّات لاصطناع الكحول

• الصنائع النسجية

هذه الصنائع احد اسباب ثروة اميركة في يومنا فانّ معاملها متوفرة وهي لا تزال تترقى يوماً بعد آخر لا سيّما الانسجة القطنيّة لنموّ مزدرعات القطن الاميركيّ الذي لا يجاريه آخر. فانّ محصول القطن يبلغ سنوياً ٢,٥٠٠,٠٠٠ طن بينما لا يتجاوز محصول الهند ٥٠٠,٠٠٠ طنّ امّا مصر فمحصولها ٣٠٠,٠٠٠ فقط. لكنّ انكلترة

تفوق على الولايات المتحدة بعدد مغازلها النسجيّة البالغ ٥٢,٥٨٥,٠٠٠ وهي في الولايات المتحدة ٢٥,٦٨١,٠٠٠ وفي مصر لا تزيد على عشرين الفاً. وقد تمكّنت ولايتا ماساشوستس ونيوانكلند من مجاراة ولاية لنكشير في اعداد المنسوجات ولا سيّما مدينة فول ريفر (Fall-River) الواقعة على مسافة ٨٠ كيلومتراً من بوسطن فهنالك ٤١ شركة لاصطناع المنسوجات لديها ٣,٠٠٠,٠٠٠ مغزل و ٨٠,٠٠٠ نول ويخرج من معامل هذه الشركات ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ متر من النسائج في السنة ومع كلّ هذه المساعي لا تزال انسجة الولايات المتحدة دون الانسجة الانكليزيّة سواء كانت من القطن او من الصوف او من الحرير. وانسجتهم لا تخرج عن الاسواق الوطنيّة فلا تقوى على مزاحمة اوربا

٦ التجارة

انّ التجارة الاميركيّة قد ترقّت ترقّياً عجيباً في نصف القرن الاخير. كانت تجارة الولايات المتحدة تُقدَّر في السنة ١٨٥٠ بنحو ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ففي السنة ١٩٠٠ بلغت ١١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وفي السنة ١٩٠٩ كانت قريباً من ١٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وجملة الصادرات من اميركة اوفر كثيراً من الواردات اليها. واصحاب النظر يعلّلون هذا الرقي بسببين: الاول توفير طرائق المواصلات والثاني همّة الاميركيين واقدامهم على الأعمال.

ومن المعلوم ان السكك الحديديّة اقرب وسائل المواصلات والاميركيون لهم في ذلك السهم الافوز بين دول المعمور فانّ مجموع سكك اوربة كلها لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر طولاً. وهو في الولايات المتحدة ٣٥٠,٠٠٠ تسير على خطوطها ٢,٠٠٠,٠٠٠ قطار. ولهم اربعة مسالك حديديّة كبرى يحسنون ان ينقلوا عليها كل ما تشحنهُ السفن العديدة من سواحل الاوقيانوس الهادي وهي: سكة شيكاغو الى استوريا. وسكة نيويرك الى سان فرنسسكو على طريق اوماها والبحيرة المالحة الكبرى. وسكة سان لويس وسانتا فاي الى سان فرنسسكو. وسكة ألبوكرك الى سان فرنسسكو على طريق لوس انجلاس. واخطرها سكة نيويرك المعروفة بسكة الهادي المركزيّة (Central Pacific) التي تلقّى الاميركيون خبر انشائها بكل سرور بل كان العالم كله ينتظر نجازها بفروغ الصبر. وقد جرت حفلة عظيمة عند

نهايتها ومدّ عارضتها مع خابورها الاخيرين فقام الدكتور هركنس (Dr Harkness) ممثل ولاية كاليفرنية وقدّم لرئيس السكة خابوراً من الذهب الخالص وعارضةً من خشب النار قائلاً: ان اهل كاليفرنية يهدونك هذا الذهب المُستخرج من معادنهم وهذا الخشب المقطوع من غاباتهم ليدخل كلاهما السكة الحديديّة التي عمّا قريب ستجمع ولاية كاليفرنية بولايات الشرق شقيقاتها وتضمّ اوقيانوس الهادي الى اوقيانوس الاتلنتيكي

والاميركيون يصطنعون قطاراتهم كلها من الخشب الصلد الثمين يزينونها بانواع النقوش ويجهزونها بكل ما يفيد راحة الركاب وكلها من درجة واحدة لا فرق بين المسافرين الّا القطارات المختصة بالسيدات ورفقتهنّ من الاعيان فيركبنها بزيادة خفيفة على ثمن سائر القطارات. وفي سكك حديديّة عديدة مكتبة لافادة المسافرين يطالعون تآليفها وقت سفرهم وفيها قطارات للاكل والشغل بل فيها آلات كتابيّة للرسائل وغيرها. هذا فضلاً عن بعض اهل الحرف لخدمة الركاب كالمزيّنين وسواهم. ولا نقص هناك غير قلة امان الانسان على حياته لانّ السكك الحديديّة تمرّ مرّ الرياح في امكنة مخطرة حصل فيها عدّة حوادث فاجعة

٧ التجارة البحريّة

الولايات المتحدة الرتبة الثانية بين الدول في التجارة البحريّة فلها المقام الاوّل بعد انكلترة اذ يبلغ محمولها ما يوازي ٧,٠٠٠,٠٠٠ طنّ وعدد مراكبها التجاريّة عشرة آلاف. لها في الاوقيانوس الاتلنتيكي الشمالي وفي الجنوبي منهُ بواخر تغلب كلّ بواخر العالم بسرعتها منها الشركة التجاريّة الدوليّة (The International Mercantile C^ny) المقدّر رأس مالها بـ ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ما خلا ٧٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار احتياط. وهذه الشركة قد سعى بتأليفها المثري الاميركي الشهير بيارپونت مورغان من شركات اوربيّة واميركيّة معاً

فترى انّ الاميركيين لا يتعاطون كبقيّة الدول عملاً الّا اذا كان مدارهُ على ملايين من الدولارات. فانهم ذوو همم عالية لا يرضون بالشيء الّا اذا كان عظيماً او استفادوا منهُ فائدة عظيمة فاذا عمّروا منزلاً رفعوا علوهُ الى السماء وان هندسوا بيتاً بالغوا في هندستهِ الى التطرّف وان سيّروا قطاراً جعلوا سيرهُ غاية في السرعة وان كتبوا جريدةً لا بدَّ ان يزيدوا في صحائفها ما ينيف على بقيّة الجرائد وان

صرفوا الدراهم صرفوها باسراف. فان دخلت لمدى حواضرهم أروك منازل ذات ثلاثين طابقاً. وفي نيويرك تمثال الحرية علوهُ ٧١ متراً لكنهُ يُرى صغيراً اذا صعدت الى القصر الحديدي فرقيتَ الى طابقهِ التاسع والعشرين. وهذه الابنية الشاهقة لا تروق للعين الَّا انَّ الاميركي يفتخر بها لانهُ تفرَّد بصنعها او لانهُ يستفيد منها ربحاً طائلاً

فالربح واكتساب الثروة هو المحرِّك الكبير في العالم الجديد فمهما تكلَّف الاميركي من الاتعاب او انفق من المصاريف يعدّ ذلك كلا شيء اذا ادَّى بهِ الامر الى التقدُّم على سواه. فلو صرف في مشروع ربع مليون من الفرنكات واستحضر كلّ الادوات لمباشرة العمل ثم عرف انهُ يوجد ادوات جديدة افضل من ادواتهِ تكلِّفهُ ضعف ما صرف فلا يتردَّد من وقتهِ لاستجلابها لانهُ يرى في ذلك ضامناً اكيداً للربح العاجل. فالاميركي هو حقيقة رجل الشغل وربّ الدينار لا ينثني او يفوز بغايتهِ. فتراهُ يبتكر الوسائط ويبتدع الاكتشافات لتحقيق آمالهِ. فمَّا امتاز بهِ الاميركيُّون ايجاد الاعلانات الغريبة التي تجذب الزبائن الى البائع فيتفنَّنون فيها الى الغاية ويصرفون عليها الالوف المؤلفة حتَّى اذا كسب بذلك شهرة اغتنى سريعاً

ومن الامثال الجارية في شيكاغو انَّ الرجل الـذي يبلغ الاربعين من سنهِ ولم يحصل على الملايين ليس هو برجل مقدام ذي فهم وذكاء. ومن غريب ما فكر فيهِ اهل شيكاغو ان جعلوا حيّاً لذوي الملايين يدعونهُ نيوپرت (Newport) شيَّدوا لهم فيهِ الدور الفخيمة المزيَّنة بابدع زخارف العالَمين والمبنيَّة على طراز مباني اليونان والرومان. واذ زار منذ عهد قريب احد اغنياء باريس مدينة شيكاغو التفت اليهِ دليلهُ واراه حيّ نيوپرت قائلاً: « أترى هذا الحيّ فانَّ فيهِ من ملايين الدولارات اكثر من باريس ولندن معاً »

فبذا نظر اجماليّ في حالة الولايات المتحدة من حيث الاقتصاد فعسى ان همَّة اهل تلك البلاد تبعث في قلوب الشرقيين شيئاً من الرغبة في اقتفاء آثارهم والجري على منوالهم فيتدرَّعون مثلهم بالعزم والحزم ويجاهدون بثبات في سبيل النجاح متَّكلين على ذلك الذي جعل الدنيا ميداناً يفوز براقتها السابقون الى غاياتها بنشاطهم وسموّ هممهم فمن قام قام الله معهُ (تمَّت ببعض اختصار وتصرُّف)

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

عني بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ العلوم في اهل مصر

لمَّا الأمّة السادسة (١ وهي اهل مصر فكانوا اهل ملك عظيم وعز قديم في الدهور الخالية والازمان السالفة [يدلّ على ذلك آثارهم في عمائرهم وهياكلهم وبيوت علمهم الموجود اكثرها في الاقليم الى يومنا هذا. وهي آثار اجمع اهلُ الارض انهُ لا مثل لها في اقليم من الاقاليم فامَّا ما كان قبل الطوفان فجُهل خبرهُ وبقي اثرهُ مثل الاهرام والبرابي والمغاور المنحوتة في جبال الاقليم الى غير ذلك من الآثار الموجودة. وامَّا بعد الطوفان فقد صار اهل الاقليم (٢ اخلاطاً من الامم ما بين قبطيّ ويوناني ورومي وعمليقي وغيرهم الَّا انَّ جمهرتهم قبط (٣ [وانما صاروا اخلاطاً لكثرة من تداول ملك مصر من الامم السالفة من العمالقة واليونانيين والروم واختلطت الامم فيها لذلك (٤ وخفي على الناس تخليص انسابهم فاقتُصر من التعريف بهم على نسبتهم الى موضعهم من بلد مصر في الطول من برقة التي هي جنوب البحر الروميّ الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريبة (٥ من اربعين يوماً وحدُّها في العرض من مدينة اسوان التي باعلى مصر وما سامَتها من ارض الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى مدينة رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي وما اتصل بذلك ومسافة قريبة من من ثلثين يوماً

وكان اهل مصر في سالف الازمان صابئة تعبد الاصنام وتدبّر (٦ الهياكل ثمَّ تنصرت عند ظهور دين النصرانيَّة ولم تزل على ذلك الى ان افتتحها المسلمون واسلم بعضهم وبقي سائرهم على دينهم اهل ذمَّة الى اليوم

١) هذا الوصف لقدماء اهل مصر وعلومهم ومشاهيرهم قد نقلهُ بحرفهِ عن كتابنا ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٢٤٧–٢٥٠)

٢) كلُّ هذا سقط من الاصل وذُكر في تاريخ ابن القفطي

٣) حك: القابة والكثرة للقبط ٤) هذا سقط من تاريخ ابن القفطي

٥) حك: قريب ٦) في الاصل: تدين وهو تصحيف

وكان لقدماء اهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بانواع العلوم وبحث عن (١ غوامض الحِكَم وكانوا يرون (33) انهُ كان في عالم الكون والفساد قبل نوع الانسان انواع كثيرة من الحيوان على صور غريبة وتراكيب شاذّة. ثمَّ كان نوع الانسان فتلب تلك الانواع وقاتلها حتى افنى اكثرها وشرَّد بقيّتها الى البراري (٢ والفاوات فنهم النيلان والسالي وغير ذلك ممّا ذكرهُ عنهم الوصفي (٣ في تاريخهِ المؤلف في اخبار مصر. فان كان ذلك حقٌ عنهم في ابدهم في هذا الرأي من نظام الحكمة وقانون الفلسفة

وذكر جماعة من العلماء انَّ جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاوّل الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو الذي يسميهِ العبرانيون خنوخ (٤ ابن يارد بن مهلائيل بن انوش (٥ بن شيث بن آدم عليهِ السلام وهو ادريس النبي عليهِ السلام (٦. وقالوا انهُ اوّل من تكلّم في الجواهر العلويّة والحركات النجوميّة واوّل من بنى الهياكل ومجّد الله تعالى فيها واوّل من نظر في علم الطبّ وألّف لاهل زمانهِ قصائد موزونة في الاشياء الارضيّة والسماويّة. وقالوا انهُ اوّل من أنذر بالطوفان ورأى انَّ آفةً سماوية تلحق الارض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابيّ في صعيد مصر الاعلى وصوّر فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منهُ على تخليدها لمن بعدهُ وخيفة ان يذهب رسمها من العالم (٧

قال صاعد: وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضيّة والطبيعيّة والالهيّة وخاصّة بعلم (٨ الطلسمات والنيرنجات (٩ والمرآي المحرقة والكيمياء وغير ذلك. وكانت دار الملك والعلم (١٠ بمصر في قديم الدهر بمدينة مَنف (١١ وهي على اثني عشر ميلاً من الفسطاط. فلمّا بنى الاسكندر مدينة

١) حك: على ٢) حك: القفار ٣) حك: الوصيفيّ: ولم نجد لهُ ذكراً في التاريخ
٤) زاد حك: النبيّ ٥) حك: بن قينان بن انوش ٦) حك: صلعم
٧) حك: والله اعلم. (قلنا) واليوم قد تقرَّر انَّ هذه الاهرام والتصاوير كلها بعد الطوفان ٨) حك (ص ٣٤٦): علم ٩) حك: النيرنجيّات
١٠) حك: العلم والملك ١١) زاد في حك: وهي في القبطيّة مافة

الاسكندرية رغب الناس في عمارتها لحسن هوائها وطيب مائها فكانت دار العلم والحكمة (١ بمصر الى ان تغلب عليها المسلمون واختط عمرو بن العاص على نيل مصر مدينته المعروفة بفسطاط مصر فانسرب اهل مصر وغيرهم من العرب والعجم (٢ (34) الى سكّانها فصارت قاعدة (٣ مصر حينئذٍ (٤ الى اليوم

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني (٥ وكان فيلسوفًا جوّالًا في البلاد طوّافًا على المدائن عالمًا بنصب اهلها (٦ وطبائع اهلها. وله كتاب جليل في صناعة الكيميا وكتاب في الحيوانات ذوات السموم

ومن علمائهم بعده بصناعة العدد بوقطوس (٧ الاسكندراني صاحب المقالات الاربع في طبيعة العدد وخواصه

ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم بيون الاسكندراني صاحب كتاب الافلاك فذكر فيه هيئة الافلاك وعددها وكيفية حركات الكواكب ذكرًا مُرسلًا مجرّدًا من البرهان على ما ذهب اليه بطليموس في كتاب المجسطي. واما كتاب القانون فانه اختصر فيه تعديل الكواكب وصور تقويمها على رأي بطليموس وزاد فيه حساب حركات إقبال الفلك وادباره على رأي اصحاب الطلسمات

ومن علمائهم ورؤسهم صاحب الكتب الجليلة (٨ في صناعة الكيمياء

ومنهم الاسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس الحكيم والّفوها على المسئلة والجواب ودلّ حسن اختصارهم لها على معرفتهم بجوامع الكلم واتقانهم لصناعة الطبّ وكان رئيسهم انقيلاوس (٩ الذي جمع من منثور كلام جالينوس ثلاث عشرة مقالة في اسرار الحركات الّفها فيمن جامع وبه علّة مزمنة فذكر ما يؤل عليه ذلك وما يُدفع به ضرره

١) حك: دار الحكمة ٢) حك: من العرب وغيرهم
٣) حك: فائدة
٤) حك: من ذلك الوقت ٥) الوصف الذي هنا ينسبهُ ابن القفطي (ص ٣٤٧) وابن ابي اصيبعة (١: ١٧) الى هرمس الثالث
٦) حك: عالمًا بالبلاد ونصبها. صب: عالمًا بنصبة المدائن وطباعها
٧) وفي حك (ص ٩٨): برقلوس ولعلّ الصواب برقلوس
٨) يظهر انهُ سقط اسم العالم الذي اراد الكاتب وصفهُ ٩) اطلب حك (ص ٧١)

ومن علمائهم باحكام النجوم واليس (١ صاحب الكتاب المعروف بالبزيدج (٢ الرومي المؤلف في المواليد وما يتقدّمها من المدخل الى علم احكام النجوم. وذكر عنهُ الاندوز (٣ في كتابهِ المؤلف في المواليد انّ كتبهُ الشرة في المواليد جامعة لقوة سائر الكتب وان واليس قال وانّ كلّ علم يزعمون انهُ ليس في كتبهِ هذه فلا اصدق انهُ كان او يكون. ولا اعلم لاحد ممّن ذكرت من علماء الاسكندريّة زمانًا محدودًا ولا خبرًا مستقصًى ولا وصل الينا من حكمتهم الّا القليل النزر بالاضافة الى ما تشهد بهِ آثارهم بصعيد مصر (35) ومصانعهم الجليلة في سائر نواحيها من عجائب البرابي وغرائبها الدالّة على سعة علمهم والمنبئة على نفاسة اخطارهم

٧ العلوم عند العرب

وامّا الامة السابعة وهي العرب فنهم فرقتان (٤ فرقة بائدة وفرقة باقية. فامّا الفرقة البائدة فكانت أُمَمًا ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة وجُرهم ابادهم الزمان وافناهم الدهر بعد ان سلف لهم في الارض ملك جليل وخبر مشهور لا ينكر لهم ذلك احد من اهل العلم بالقرون الماضية والاجيال. ولتقادم انقراضهم ذهبت حقائق (٥ اخبارهم وانقطعت عنّا اسباب العلم بآثارهم. وامّا الفرقة الباقية فهي متفرّقة (٦ من جذمَيْن قحطان وعدنان ويشملها جميعًا حالان حال الجاهليّة وحال الاسلام

فامّا حال العرب في الجاهليّة فشهورة (٧ عند الامم من العزّ والمنعة وكان ملكهم في قحطان ثم في سبع قبائل (٨ منها وهي حمير وهمدان وكندة ولخم ودَوس ومذحج وكان بيت الملك فيهم بنو الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث

١) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٦٦) وهو يسميهِ فاليس وقد نقل صاحب تاريخ الحكماء هذه القطعة في كتابهِ (ص ٢٦١) قال: فاليس المصري وربّما قيل واليس الرومي كان حكيمًا فاضلًا في الزمن الاوّل ٢) وفي الفهرست: بالزبرج. وفي حك: بالبزيدج

٣) في حك: الايذغر وكلا الاسمين مصحَّف

٤) نقل ابن العبري في تاريخ مختصر الدول قول صاعد عن العرب (ص ١٥٨ من طبعة الاب انطون صالحاني ونشير اليها بحرفي: عب) واختصرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (١: ٧٥) ٥) عب: حقيقة ٦) عب: متفرّعة

٧) عب: فحال مشهور ٨) عب: في قبائل قحطان

ابن حيران بن قيطان بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير (١ وسائر الملوك اتباع فكان من بني الصوار الملوك السادة والجبابرة والتبابعة اهل الشرف القديم والعزّ التليد والملك الموطّد والمجد المؤثّل الذين دوّخوا البلاد وضخموا الممالك وتركوا الآثار العظيمة والاخبار الشريفة في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها كيعرب بن قحطان وسبا بن يشجب والحرث الرائش وابرهة ذي المنار وعمرو ذي الاذعار وافريقس باني افريقية وشمّريرعش باني سمرقند وتبّع الاكبر وتبع الاوسط واسمهُ اسعد ويكنّى ابا بكر وهو الذي يقول فيهِ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي ويصف عموريّة:

وبَرْزَة الوجه قد أعيتْ رياضتها كسرى وصدّتْ صُدودًا عن ابي كرب

وتبع الاصغر وهو عمرو (36) بن حسان بن ابي كرب وكان لهؤلاء الملوك مذهب في آثار احكام النجوم وميل الى معرفة طبائعها. وزعم ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل المؤلّف في اخبار حمير وانسابها ان ملوك حمير لم يكونوا يستعملون من قوّادهم ولا يصرفون عن كُفاتهم الّا مَن عرفوا مولدهُ ووجدوا ادلّتهُ من البروج والكواكب موافقة لادلّتهم ومشاكلة لها. وانما كانوا اذا ارادوا غزو امّة من الامم تخيّروا لذلك الاوقات السعيدة والطوالعَ الشاكلة لمواليدهم والملائمة لنصب دولتهم ومكثوا في ارتيادها الازمان الطويلة حتى تُمكنهم على اختيارهم فكانوا يبلغون بهذا حيث شاءوا من المراتب العالية والمنازل الرفيعة من الظفر بالاعداء وبُعد الصيت في البلاد. قال صاعد: ولم تكن ملوك حمير معتنية بأرصاد الكواكب ولا باختيار حركاتها ولا بايثار شيء من علوم الفلسفة وكذلك كان سائر ملوك العرب في الجاهليّة ولم يبلغنا عن احد منهم انهُ بحث عن شيء من ذلك

وامّا سائر عرب (٢ الجاهليّة بعد الملوك منهم فكانوا طبقتين اهل مدر واهل وَبَر. فامّا اهل المدَر فهم اهل الحضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والكرم والماشية والضرب في الارض للتجارة وغير ذلك من ضروب الاكتساب ولم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور. واما اهل الوبر فهم قطّان

١) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ :٥١ من طبعة مصر)
٢) عاد ابن العبري (ص ١٥٨) الى نقل كلام صاعد

الصحارى وعمّار الفلوات وكانوا يعيشون من البان الابل ولحومها وكانوا زمان النجعة ووقت التَّبَدّي يراعون جهات اِيماض البرق ومنشإ السحاب وجَلجلة الرعد فيؤمّون منتجعين لمنابت (١ الكلأ مرتادين لمواقع القطر ويخيّمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي ثم يقومون (٢ لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حلّ وترحال (٣ كما قال المثقب العبدي في ناقته :

تقول اذا درأتُ لها وضيني اهذا دينهُ ابدًا وديني
أكلَّ الدهر حلٌّ وارتحال (37) أما تُبقي عليّ ولا تقيني (٤

فكان ذلك دأبهم زمان الصيف والقيظ والربيع فاذا جاء الشتاء واقشرت (٥ الارض ومدّت (٦ انكمشوا الى ارياف العراق واطراف الشام وركبوا الى القرب من الحواضر والدنوّ من القرى فشتّوا هنالك مقاسين جهد الزمان ومصطبرين على جهد العيش وهم خلال ذلك يتواخون بقوتهم ويتشاركون في بلغتهم مدمنون (٧ على أباء الضيم ونصرة الجار والذبّ عن الحرم (٨

وكانت اديانهم مع ذلك مختلفة فكانت حمير تعبد الشمس وكنانة القمر وتميم الدَّبَران. ولخم وجذام المشتري. وطيّ سهيلًا. وقيس الشعرى العبور. واسد عطاردًا. وكانت ثقيف واياد تعبد شيئًا ما على نخلة (٩ يقال له اللات ثم عبدت اياد وبكر بن وائل كعبةَ شدّاد. وكان لحنيفة صنم يعبدونهُ من حيس فلحقتهم مجاعة في بعض السنين فاكلوه فقال في ذلك بعض الشعراء :

اكلت حنيفةُ ربّها عام التقحّم والمجاعهْ
لم يحذروا من ربّهم سوء العواقب والتباعهْ

قال ابن قتيبة (١٠ : كانت النصرانيّة في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهوديّة في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة. وكانت المجوسيّة في

---

١) عب : بمنابت ٢) في الاصل : يقوضون . وفي عب : يترحّلون
٣) عب : ترحال ٤) ويروى : يبقي عليّ ولا يقيني
٥) عب : اقشعرّت ٦) كذا في الاصل ولعلّ الصواب قرّت اي بردت
٧) في الاصل : لا منون (؟) ٨) في الاصل : الحرب ٩) عب : بيتًا باطن نخلة
١٠) اطلب كتابهُ المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر)

تميم منهم زُرارة بن عدس وابنهُ حاجب والاقرع بن حابس وابو سُود جدّ وكيع ابن حسان بن ابي سود. وكانت الزندقة في قريش اخذوها عن اهل الحيرة وكانت عبادة الاوثان فاشية في العرب حتى جاء الاسلام

قال صاعد: وجميع عبدة الاوثان من العرب موحّدة الله تعالى وانما كانت عبادتهم لها ضرباً من التديُّن بدين الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها في الهياكل لا على مـا يعتقدهُ الجهّال بديانات الامم وآراء الفِرَق مع ان عبدة الاوثان ترى ان الاوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ولم يعتقد قطّ هذا الراي صاحب فكرة ولا ولا ربّهُ صاحب العقل. دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى(١: ما نعبُدهم الّا ليقرّبونا الى الله زلفى. وجاء نصّ القرآن بمخالفتهم في البعث (38) والنشور ونبوّة محمد صلعم فكان جمهورهم ينكر ذلك لا يصدّق بالمعاد ولا يقول بالجزاء. ويرى ان العالم لا يخرب ولا يبيد وان كان مخلوقاً مبتدعاً وكان فيهم من يقرّ بالمعاد ويعتقد إن نُحرت ناقةٌ على قبرهِ حُشر راكباً ومن لم يفعل ذلك حُشر ماشياً وفي ذلك يقول جُزيَة بن الاشيم؟ الفقعسيّ يوصي ابنهُ:

يا سَعدُ امّا اهلكنَّ فانني	أُوصيك ان اخا الوصاة الاقربُ
لا تتركنَّ اباك يمشي خلفهم	تَعِباً يخرُّ على اليدين وينكبُ
إحمل اباك على بعيرٍ صالحٍ	واتقِ الخطيئة انهُ هو اصوبُ
ولعلَّ مالي مـا تركتُ مطيّةً	في البهم اركبها اذا قيل اركبوا

فهذه كانت ديانات العرب. واما علمها الذي كانت تتفاخر بهِ وتتبـاري بهِ فعلم لسانها وإحكام لغتها ونظم الاشعار وتأليف الخطب وكانت مع ذلك اهل علم الاخبار ومعدن معرفة السِير والامصار. قال ابو محمد الهمداني: ليس يوصل الى خبر من اخبـار العجم والعرب الّا بالعرب ومنهم وذلك انّ من سكن بمكة من العمالق وجُرهم وآل السّميدع بن هونة وخزاعة احاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون اخبار الناس. وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الاعاجم من عهـد اسعد ابي كرب وبخت نصر حووا علم الاعاجم واخبارهم وايام حمير ومسيرها في البـلاد وعنهم صار اكثر ما

١) اطلب سورة الزمر ع ٦

رواه عُبيد بن شرية ومحمّد بن السائب الكلبي والهيثم (١ بن عديّ. وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسّان خبير باخبار الروم وبني اسرائيل واليونانيين. ومن وقع بالبحرين من تنوخ واياد فعنهُ اتت اخبار طسم وجديس. ومن وقع من ولد نصر من الازد بعمان فعنهُ اتى كثير من اخبار السند والهند وشيء من اخبار فارس ومن وقع بجبلَي طيء فعنهُ اتت اخبار آل اذينة والجرامقة. ومن سكن باليمن فانهُ علم اخبار الامم جميعاً لانهُ كان في دار (39) مملكة حمير وفي ظلّ الملوك السيّارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال ولم يكن ملك منهم يغزو الأعرف (٢ البلاد واهلها والعرب اصحاب حفظة ورواية لخفة الكلام عليهم ورقّة السنتهم لانهم تحت نطاق فلك البروج الذي ترسمهُ الشمس بمسيرها وتجري فيهِ الكواكب السبعة الدالّة على جميع الاشياء.

وكان للعرب مع هذا معرفة (٣ باوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بانواء الكواكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق ولا على سبيل التدرّب في العلوم. ولابي حنيفة الدينوري احمد بن داود اللغوي كتاب شريف في الانواء تضمّن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والانواء ومهابّ الرياح وتفصيل الازمان وغير ذلك من هذا الفنّ. فهذا بما كان عند العرب من المعرفة. واماَّ علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ وجلّ شيئاً منهُ ولا هيّأ طباعهم للعناية بهِ ولا اعلم احداً من صميم العرب شُهر بهِ الّا ابا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وابا محمد الحسن الهمداني وسياتي ذكرهما في موضعهِ ان شاء الله

واماَّ بلاد العرب فهي معروفة بجزيرة العرب سُمّيت بذلك لان البحر محيط بها من جهاتها الثلاث التي هي المغرب والجنوب والمشرق ففي مغربها خليج جدّة والجار وايلة والقلزم والخارج من البحر الكبير بحر الزنج والهند وفي جنوبها بحر عدن وهو البحر الكبير. وفي شرقها خليج عمان والبحرين والبصرة وارض فارس والخارج ايضاً من

١) في الاصل: الهيم ٢) في الاصل: عرب

٣) هذه القطعة رواها ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٩)

بحر الهند . واماّ شمال جزيرة العرب فاطراف الشام وجهات بلادها الجنوبيّة مـا بين الحجر وهو بلاد ثمود الى دومة الجندل وما اتّصل بها من البلاد المطلّة على السماوة

وجزيرة العرب اربعـة اجزاء كبار وهي الحجاز ونجد وتهامة واليمن ومسافة الجزيرة في الطول وذلك بين عدن وبين اطراف الشام نحو من الاربعين مرحـلة ومسافتها في (40) العرض وذلك ما بين ساحل بحر أيلة والجار وجدّة وبين العذيب وما اتصل من ريف العراق نحو من خمس وعشرين مرحلة

فاماّ اليمن وكانت دار قحطان الى خراب مارب وما اتّصل بها من ارض اليمن في ايام شتبرعش من ملوك حمير وفي ايام داود عليه السلام من ملوك بني اسرائيل وفي ايام كيخسرو الثالث من ملوك الطبقة الثالثة من الفرس وذلك بعـد الطوفان بالفي سنة وستين سنة شمسيّة . وكان سبب خراب سدّ مارب مـا صحّ به الخبر من الطوفان الصغير الذي طما به سيـل العرم على سدّ مأرب فخربهُ وافسد عمائر مارب وكثيراً من البلاد . وكان سكان مارب الازدَ وما والاها فلمّا خربت تفرّقوا في البـلاد فلحقت الاوس والخزرج وهم الانصار بيثرب من ارض الحجاز وهي مدينة النبي صلعم . ولحقت خزاعة بمكّة وما حواليها من ارض تهامة . ولحقت وادعة ويحمد وخزام وجديل ومالك والحرث وعتيك بعمان وهم ازد عمان . ولحقت ماسخة ومَيدعان ولهب وغامد ويشكر وبارق وعلي بن عثمان وشنران والحجر بن الهنـد ودوس بالشراة (١ وهو جبـل عظيم يقطع بلاد العرب طولاً من تلقاء اليمن الى اطراف الشام . ولحق مالك بن عثمان بن اوس بالعراق . ولحقت جفنة وآل محرّق بن عمرو بن عامر وقضاعة بالشام . وفي خروج غير من ذكرنا من العرب من جزيرة العرب من اياد وربيعة الى الشام وديار ربيعة من ارض الجزيرة اخبار ليس هـذا موضع ذكرها . وقد بيّنا ما بلغنا منها في كتاب جوامع اخبار الامم من العرب والعجم (٢

فهذه كانت حال العرب في الجاهليّة في دياناتها ومساكنها ومعايشها . واما حال العرب في الاسلام فعلى ما نذكرهُ هنا اوجز ما يمكننا واختصرهُ : كانت العرب حين بُعث النبي قد تفرّق ملكها وتشتّت امرها فضم الله شاردها (٣ وسكّن نافرها وجمع

١) في الاصل : بالسراة ٢) راجع توطئة الكتاب ٣) في الاصل : ساردها

عليهِ جماعة ممّن كان (41) بجزيرة العرب من قحطان وعدنان فآمنوا بـهِ وانقادوا اليهِ ورفضوا جميعاً ما كانوا يدينون بهِ من عبادة الاوثان وتعظيم الكواكب واقرّوا لله تعالى بالتعظيم والتحميد والربوبيّـة والتوحيد والتزموا شريعة الاسلام من اعتقاد حدث العالم وخرابهِ والبعث والنشور والجزاء ومن العمل بالطاعات والصيام والصلوة والزكاة والحجّ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شريعة الاسلام. ثم لم يلبث رسول الله صلعم الّا قليلًا فتوفّي وخلفهُ اصحابهُ ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي صلوات الله عليهم فملكوا البلاد وغلبوا الملوك واحتووا على الممالك. وبلغت مملكة الاسلام في ايّام عثمان من الجلالة والسعة الى حيث نبّه عليهِ النبي صلعم في قولهِ "رُوِيَت ليَ اقاصي الارض فأُريت مشارقها وسيبلغ ملك أُمّتي ما رُوِي لي منها".

فاباد الله تعالى بدولة الاسلام دولة الفرس بالعراق وخراسان وغيرها من ديار الفرس ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر ونواحيها وجمع الله تعالى بالنبي صلعم ملك العرب في عدنان ثمّ في عمومة النبي صلعم وبني قريش. حكمٌ من الله تعالى ماضياً وقضاء منهُ نافذًا وتلك عادته في الامم وسنّتهُ في القرون كما قال عزّ وجلّ: (١ وتلك الايام نُداولها بين الناس (١.

وكانت العرب (٢ في صدر الاسلام لا تُعنى (٣ بشيء من العلم الّا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطبّ فانها كانت موجودة عند افراد من العرب غير منكرة (٤ عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها ولما كان عندهم من الاثر عن النبي صلعم في الحثّ عليها حيث يقول: يا عباد الله تداووا فان الله عز وجلّ لم يضع داء الّا وضع له دواء الّا واحدًا وهو الهرم

فكان من الاطبـاء على عهد النبي صلعم من العرب الحرث (42) بن كلدة الثقفي كان تعلّم الطب بفارس واليمن وكان يضرب العود وبقي الى ايام معاوية بن ابي سفيان. وكان منهم ابن ابي رمثة التيمي وهو الذي قال: رأيتُ بين كتفي النبي صلعم خاتم النبوّة فقلت له: اني طبيب بهِ دَعني أُعالجهُ. فقال: انت رفيق والطبيب الله.

١) سورة آل عمران ع ١٣٦
٢) هذا الفصل نقلهُ ابن العبري (عب) في تاريخهِ (ص ٢٢٥-٢٢٦) ونقلهُ غيرهُ ايضاً كالحاج خليفة   ٣) عب: لم تُعنَ   ٤) عب: منكورة

وكان منهم ابن الحبر وهو الكتاني طبيب ماهر كان في ايام عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبعث اليه بمائه اذا مرض. وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفين كان بصيرًا بالطبّ والكيميا. وله في الكيميا، رسائل واشعار بارعة دالّة على معرفتهِ وبراعتهِ فيها

فهذه كانت حالة العرب في الدولة الامويّة [فلمّا ادال الله تعالى تلك الدولة بالهاشمية (١ وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبّت الفطن من ميتتها فكان اوّل من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس ابن عبد المطلب بن هاشم فكان رحمهُ الله تعالى مع براعتهِ في الفقه وتقدّمهِ في علم الفلسفة وخاصّة في علم صناعة النجوم كلفاً بها وباهلها (٢

ثم لمّا افضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم عبدالله المأمون بن هرون الرشيد ابن محمّد المهدي بن ابي جعفر المنصور تمّم ما بدأ بهِ جدّهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ واستخرجهُ من معادنهِ بفضل همّته الشريفة وقوّة نفسهِ الفاضلة (٣ فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليهِ بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلّفهم إحكام ترجمتها فتُرجمت له على غاية ما امكن ثم حضّ الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها فنفقت سوق العلم في زمانهِ وقامت دولة الحكمة في عصرهِ . (43) وتنافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من احضائهِ لمنتحليها واختصاصه لمتقلديا فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذّ بمذاكرتهم فينالون عندهُ المنازل الرفيعة والمراتب السنيّة وكذلك كانت سيرتهُ مع سائر العلماء والفقهاء والمحدّثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب فاتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلّم في ايامهِ كثيرًا من اجزاء الفلسفة وسنّوا لمن بعدهم منهاج الطب

---

١) عب: ادال الله للهاشميّة

٢) عب: كان مع براعتهِ في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصّة في علم النجوم. وروى الحاج خليفة (٥ : ٨١) : مقدّمًا في علم الفلسفة وخاصّة في النجوم محبًا لاهلها

٣) رواية الحاج خليفة: بقوّة نفسهِ الشريفة وعلوّ همّتهِ المنيفة

ومهدوا اصول الأدب حتى كادت الدولة العباسيّة تضاهي الدولة الروميّة أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها. ثم بدأت تنقص ولتمام ثلثمائة سنة خلت لتاريخ الهجرة تداخل الملك وتغلب عليهِ الفساد والاتراك فلم يزل الناس يزهدون في العلم ويشتغلون عنهُ بتراحم الفتن الى ان كاد العلم يرتفع جملةً في زماننا هذا والحمد لله على كلّ حال

واذ قد ذكرنا هذه المقدّمة من اخبار العرب فلنذكر الآن من عُرف من الدولة العباسيّة من المسلمين عربيّاً كان او أعجميّاً بشيءٍ من علوم الفلسفة فنقول: ان اوّل علم اعتُني بهِ من علوم الفلسفة علم المنطق والنجوم. فامّا المنطق فاوّل من اشتهر بهِ في هذه الدولة عبدالله بن المقفع الخطيب الفارسي كاتب ابي جعفر المنصور فانهُ ترجم كتب ارسطاطاليس المنطقيّة الثلاثة التي في صورة المنطق وهي كتاب قاطاغورياس وكتاب باري ارمنياس وكتاب انولوطيقا وذكر انهُ لم يُترجم منهُ الى وقتهِ الّا الكتاب الاوّل فقط وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطق المعروف بالايساغوجي لفرفوريوس (١ الصوري وعبّر عمّا ترجم من ذلك عبارةً سهلة قريبة المأخذ. وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكليلة ودمنة وهو اوّل مَن ترجم (44) من اللغة الفارسيّة الى اللغة العربيّة ولهُ تآليف حسان منها رسالة في الآداب والسياسة ومنها رسالتهُ المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان (٢

وامّا علم النجوم فاوّل من عُني بهِ في هذه الدولة محمد ابن ابراهيم الفزاري (٣ وذلك ان الحسين بن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمي ذكر في تاريخهِ الكبير المعروف بنظام العقد (٤ انهُ قدم على الخليفة المنصور في سنة ستّ وخمسمائة (٥ رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسند هندي في حركات النجوم مع تعاديل معلومة (٦ على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من اعمال الفلك ومع كسوفين (٧ ومطالع البروج وغير ذلك في كتاب يحتوي على اثني عشر باباً (٨ وذكر انهُ اختصرهُ

١) في الاصل: السياغوجي فرفورنوس
٢) روى ابن القفطي (حك ٢٢٠) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٠٨) قول المؤلف عن عبدالله ابن المقفّع ٣) وصفُ المؤلف لمحمّد بن ابراهيم الفزاري نقلهُ في تاريخ الحكماء (حك ٢٧٠) ولم يذكر صاحبهُ ٤) حك: في زيجهِ المعروف بنظم العقد
٥) كذا في الاصل والصواب: سنة ستّ وخمسين ومائة كما ورد في حك (٢٧٠)
٦) وفي حك: معمولة ٧) حك: من الكسوفين ٨) حك: على عدّة ابواب

من كردجات منسوبة الى ملك من ملوك الهند يسمّى قبغر (١ وكانت محسوبة لدقيقة. فامر المنصور بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربيّة وان يؤلف منهُ كتاب تتخذهُ العرب اصلًا في حركات الكواكب فتولى ذلك محمّد بن ابراهيم الفزاري وعمل منهُ كتاباً يسميه المنجمون بالسند هند الكبير وتفسير السند هند باللغة الهنديّة الدهر الداهر فكان اهل ذلك الزمان يعملون بهِ (٢ الى ايام الخليفة المأمون فاختصرهُ لهُ ابو جعفر بن موسى الخوارزمي وعمل منهُ زيجهُ المشهور ببلاد الاسلام وعوّل فيهِ على اوساط السند هند وخالفهُ في التعاديل والميل فجعل تعاديلهُ على مذهب (٣ الفرس وميل الشمس فيهِ على مذهب بطليموس واخترع فيهِ من انواع التقريب ابواباً حسنة لا تفي بما احتوى عليهِ من الخطأ البيّن الدالّ على ضعفهِ في الهندسة وبعدهِ عن التحقيق بعلم الهيئة فاستحسنهُ اهل ذلك الزمان من اصحاب السند هند وطاروا بهِ كل مطير (٤ وما زال ذلك نافعاً عند اهل العناية بالتعديل الى زماننا هذا

ولمّا افضت الخلافة الى عبد الله المأمون بن هارون (45) الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور وطمحت نفسهُ الفاضلة الى ادراك الحكمة وسمت بهِ همّتهُ الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة ووقف علماء وقتهِ على كتاب المجسطي وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيهِ بعثهُ سرورهُ وحداهُ نبلهُ على ان جمع علماء عصرهِ من اقطار مملكتهِ وامرهم ان يضعوا مثل تلك الآلات وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرّفوا منها احوالها كما صنعهُ بطليموس ومن كان قبلهُ ففعلوا ذلك وتولّوا الرصد بها بمدينة الشماسيّة من بلاد دمشق من ارض الشام سنة اربع عشرة ومائتين (٨٢٩ م) فوقفوا على زمن سنة الشمس الرصديّة ومقدار ميلها وخروج مركزها وموضع اوجها وعرفوا مع ذلك بعض احوال باقي الكواكب من السيّارة والثابتة. ثم قطع بهم عن استيفاء غرضهم موت الخليفة المأمون في سنة ثمان عشرة ومايتين (٨٣٣ م) فقيدوا ما انتهوا اليهِ وسموه الرصد المأموني. والذي تولّى ذلك يحيى بن ابي منصور كبير المنجمين في عصرهِ وخالد بن عبد الملك المروزي وسند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري والّف كل واحد منهم في ذلك زيجاً منسوباً اليهِ

١) حك: قيغر
٢) حك: اكثر من يعملون بهِ
٣) حك: مذاهب
٤) حك: وطاروا بهِ في الآفاق

موجودًا في ايدي الناس الى اليوم فكانت ارصادهم اوّل ارصاد كانت في مملكة الاسلام (١

ولم يزل خواصّ من المسلمين وغيرهم من المتصلين بملوك بني العباس وسواهم من ملوك الاسلام مذ ذلك الزمان الى وقتنا هذا يعتنون بصناعة النجوم والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم القديمة ويؤلفون فيها الكتب الجليلة ويظهرون منها النتائج الغريبة

فمن اشتهر منهم بإحكام العلوم والتوسع في فنون الحكمة يعقوب بن اسحق (٢ الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها وهو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسمعيل بن محمد بن الاشعث (46) بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن خالد بن علي (٣ بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث الاكبر (٤ ابن معاوية بن ثور بن مرقع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشخب بن غريب (٥ بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشخب (٥ بن يعرب بن قحطان. وكان ابوهُ اسحق بن الصباح اميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد وكان جدّهُ الاشعث بن قيس من اصحاب النبي صلعم وكان قبل ذلك ملكًا على جميع كندة وكان ابوهُ قيس بن معدي كرب ملكًا على جميع كندة ايضًا عظيم الشان وهو الذي مدحهُ الاعشى بن قيس بن ثعلبة بقصائدهِ الاربع الطوال التي اولاهنّ « لعمرك ما طول هذا الزمان » والثانية « رحلت سميّة غدوة أجمالها » والثالثة « أأزمعت من آل ليلى ابتكارًا » والرابعة « اتهجر غانية ام تلمّ » (٦ وكان ابوه معدي كرب معاوية ملكًا على بني الحرث الاصغر بن معاوية في حضرموت وكان ابوه معاوية بن جبلة ملكًا

---

١) اطلب هذا الكلام منقولًا في كتاب الحكماء (حك ٢١٩ و٢٤٣ و ٢٥٧) وفي تاريخ ابن العبري (ص ٢٤٨)

٢) نقل ابن القفطي كلّ هذا الفصل عن يعقوب بن اسحاق الكندي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦٦ — ٣٧٠) دون ذكر الكتاب الذي اخذ عنهُ وكذا فعل ابن ابي اصيبعة في تاريخ الاطبّاء (١ : ٢٠٦)

٣) في حك : ابن جبلة ابن عديّ   ٤) حك : الاصغر

٥) كذا في الاصل . وفي حك يشجب بن عريب

٦) وفي الاصل : تسلم

بحضرموت ايضاً على بني الحوث الاصغر وكان معاوية بن الحارث الاكبر وابوه الحرث الاكبر وابوهُ ثور ملوكاً على معدّ بالمشقَّر واليمامة والبحرين ولم يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب وله في اكثر العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال والرسائل القصار ما يزيد عددها على خمسين تأليفاً. فمن كتبهِ المشهورة كتاب التوحيد المعروف بفم الذهب ذهب بهِ الى مذهب افلاطون من القول بحدوث العالم في غير زمان ونصر هذا المذهب بحجج (١ غير صحيحة بعضها سوفسطائيّة وبعضها خطابيَّة ومنها كتابهُ في الردّ على الثانيَّـة احدى فرق الضلالة القائلة بالاصلين القديمين ومنها رسالتهُ في ما بعد الطبيعة في الردّ على الثانية. ومنها كتابهُ في اثبـات النبوة (47) ومنها كتاب في علوم الموسيقى المعروف بالمونس ومنها رسالتهُ في تسلية الاحزان. ومنها كتاب آداب النفس ومنها كتبهُ في المنطق وهي كتب قد نفقت عند الناس نفاقاً عاماً وقلَّما يُنتفع بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليـل التي لا سبيل الى معرفة الحقّ من الباطل في كلّ مطلوب الّا بها. واماً صناعة التركيب وهي التى قصد يعقوب في كتبهِ هذه اليها فلا يَنتفع بها الّا من كانت عنـده مقدّمات فحينئذٍ يمكن التركيب ومقدمات كلّ مطلوب لا توجد الّا بصناعة التحليل ولا ادري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هـذه الصناعة الجليلة هل جهل مقدارها وضنّ على الناس بكشفهِ وايُّ هاذين كان فهو نقصٌ فيهِ وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم ظهرت له فيها اراء فاسدة ومذاهب بعيدة من الحقيقة

ومنهم احمد بن الطيب السرخسي تلميـذ يعقوب بن إسحق الكندي احد المتفنّنين في علوم الفلسفة وله تآليف جليلة في الوسيقى والنطق وغير ذلك حسنة العبارة جيدة الاختصار

ومنهم محمد بن زكريا الرازي طبيب المسلمين غير مدافَع فيـه وأحد المهَرة في علوم المنطق والفلسفة وغيرها من علوم الفلسفة وكان في ابتداء تعلُّمهِ يضرب العود ثم ترك ذلك واقبـل على تعلُّم الفلسفة فنال منها كثيراً والف نيفاً على مائة تآليف اكثرها في صناعة الطبّ وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعيَّة والالهيَّة الّا

١) في الاصل: حجاج

انهُ لم يوغل في العلم الالهي ولا عَلِم غرضهُ الاقصى فاضطرب لذلك رأيهُ وتقلّد آراء سخيفة وانتحل مذاهب سخيفة ودنا اقواماً لم يفهم عنهم ولا هُدي بسبيلهم وادار مارستان الريّ ثم مارستان بغداد زماناً ثم عمي في آخر عمرهِ وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة (٩٣٢ م) والله سبحانهُ اعلم

ومنهم ابو نصر محمد بن محمد بن نصر الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة (١ اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن جيلاني (٢ المتوفى بدينة (48) السلام (٣ في ايام المقتدر فبذّ جميع اهل الاسلام فيها واتى (٤ عليهم في التحقّق بها فشرح غامضها وكشف سرّها وقرّب تناولها وجمع ما يحتاج اليهِ منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبهة على ما اغفلهُ الكندي وغيرهُ من صناعة التحليل وانحاء التعليم واوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس وافاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تُصرَّف صورة القياس في كلّ مادة منها فجاءت كتبهُ في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة. ثم لهُ بعد هذا كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يُسبَق اليهِ ولا ذهب احد مذهبهُ فيهِ ولا يستغني طلّاب العلوم كلها عن الاهتداء بهِ وتقديم النظر فيهِ. ولهُ كتاب في اغراض فلسفة افلاطون وارسطاطاليس يشهد لهُ بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرُّف وجه الطلب أطلع فيهِ على اسرار العلوم وثمارها علماً علماً وبيّن كيفيّة التدرُّج من بعضها الى بعض شيئاً شيئاً ثم بدأ بفلسفة افلاطون فعرف بغرضهِ منها وسمّى تآليفهِ فيها ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطاطاليس فقدّم لهُ مقدّمة جليلة عرّف فيها بتدرجهِ الى فلسفتهِ ثم بدأ بوصف اغراضهِ في تآليفهِ المنطقيّة والطبيعيّة كتاباً كتاباً حتى انتهى بهِ القول في النسخة الواصلة الينا الى اوّل العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليهِ فلا اعلم كتاباً اجدى على طالب الفلسفة منهُ فانهُ يعرّف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم

---

١) هذا الفصل عن الفارابي نقلهُ ابن القفطي (ص ٢٧٧) بالحرف عن مؤلفنا ولم يُنبّه اليهِ وذكرهُ ابن ابي اصيبعة (٢: ١٣٥–١٣٦)

٢) كذا في الاصل وفي سك: جيلاد (?) وفي صب: حيلان

٣) في الاصل: الاسلام

٤) صب: وازبى

والمعاني المختصة بعلم علم منها ولا سبيل الى فهم معاني قاطاغورياس وكيف هي الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الأ منهُ ثم لهُ بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدنيّ كتابان لا نظير لهما احدهما المعروف بالسياسة المدنيّة والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة عرّف فيهما بجمل عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطاطاليس في مبادئ الستة (49) الروحانيّة وكيف تؤخذ عنها الجواهر الجسمانيّة على ما هي عليهِ من النظام واتصال الحكمة وعرّف فيهما بمراتب الانسان وقواه النفسانيّة وفرق بين الوحي والفلسفة ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة واحتياج المدينة الى السير الملكيّة والنواميس النبويّة. وكان ابو نصر الفارابي معاصراً لابي بشر متى بن يونس في علم المنطق تعويل العلماء ببغداد وغيرها من امصار المسلمين بالشرق لقرب مأخذها وكثرة شرحها وكانت وفاة ابي نصر الفارابي بدمشق في كنف الامير سيف الدولة عليّ بن عبدالله بن حمدان التغلبي سنة تسع وثلثين وثلثمائة (٩٥٠م) فهؤلاء هم المشاهير عندنا من اهل التوسع في فنون المعارف (لهُ بقيّة)

حكومة الحبش

لجناب الكافلير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدَّم فخري وسر اجزائي بلاط امبراطور الحبشة سابقاً (تابع)

٤ الوظائف الادارية

قلما كانت الوظائف في الحبشة منفردة عن الرتب العسكريّة اذ ان الامير او العامل كما سبقت لنا الاشارة يكون عادةً حاكماً عسكرياً وملكياً بالوقت نفسه ومتولياً على القضاء في كلّ المقاطعة الموضوعة تحت امرتهِ. ولهذا الحاكم ان ينصب عمّالاً يجمعون بين الوظائف المذكورة ولهُ ان يعين لكل وظيفة مأموراً واليك اهم الوظائف الملكيّة:

١ «كَج» هو الحاكم العام على مقاطعة او امارة معلومة ويكون عادةً هذا

الحاكم بلقب راس او مشير او غير ذلك من الالقاب العسكرية او غيرها. وقد يكون مطراناً او رئيس رهبان او اجنبياً

٢ « شوم » هو المحافظ الذي يعينهُ الحاكم على اقطاعة من اقطاعات امارتهِ

٣ « طشقاشوم » هو المدير او القائمقام تحت حكم الشوم

٤ « كنتيبا » هو حاكم مدينة عامرة نظير اديس ابابا والتكوير وقندهار وعدوى وهرر وسوى ذلك من المدن المهمة في الحبشة

٥ « ملكانيا » متولي اقطاعة صغيرة وهو بمثابة شيخ قرية

٦ « زمانيا » بوليس المحافظة في المدينة وعلى ابواب بيوت الامراء والوالي

• القضاء والمحاكم

يتولى القضاء في المملكة الحبشيَّة النجاشي بنفسهِ فتُرفع اليهِ اهمُّ قضايا السلطنة ولكل واحد من الرعيَّة في اي ناحية كان من انحاء المملكة حق بالاعتراض على حكم القضاة والحكام والامراء ورفع قضيتهِ امام محكمة الملك. وقد رأيت الامبراطور منليك يجلس مرتين في الاسبوع يومي الاربعاء والجمعة من الصباح الى وقت الفطور (الظهر في الأيام الاعتياديَّة ونحو الساعة التاسعة من النهار في أيام الاصوام) على كرسي القضاء في باحة متسعة محاطة بالاسوار قرب القصر يدعونها « شنكو » وهي بقية من عوائد الملوك الاوَّلين وخصوصاً القياصرة الذين كانوا يجلسون على كرسي القضاء في محل كان يُعرف عندهم باسم « ليتوستروتُس » وكذلك ملوك يهوذا واسرائيل في محل كانوا يدعونهُ « جبعثا ». وفي صدر هذه الباحة محل مرتفع ومسقوف يشبه مرسحاً في صدر نادٍ عميق. ويجلس من حول الملك القضاة والعظماء والشيوخ ولا تمنع الحكومة احداً من شاء الجلوس معهم مرتباً كان او غير مرتب عند الملك او الامير. وكذلك الامراء في اماراتهم يجلسون يومين في الاسبوع او اكثر من ذلك ومن حولهم قضاتهم وشيوخ اماراتهم لاستماع الدعاوي. واذا كانت قضية لها علاقة بالدين جلس ايضاً في القضاء الاسقف او رئيس كهنة الامارة ومن شاء من القس والرهبان والشمامسة. وليس للقضاء عندهم من مجلة او قانون مكتوب بل هم يطبقون حكمهم في كل مسألة على

الضير والنمة والقتل وفيا ندر من الاحايين يستندون الى كتاب قديم العهد يدعونهُ «كتاب فتح الملوك» بهِ نخبة من القوانين القديمة الكنسيَّة والمدنيَّة مأخوذة عن المجامع المسكونيَّة واخصها المجمع النيقوي ومجمع افسس وعن بعض المجامع الاقليمية في كنيسة الاسكندريَّة وقد ترجم هذا الكتاب مؤخرًا من الحبشيَّة الى الايطالية العالم المستشرق السنيور اغناطيوس گويدي. فاذا وقف الحبشي للدفاع امام هذه الهيئة إتّزر بوشاحهِ على هيئة مخصوصة عندهم وبسط يديهِ واخذ يتكلم بصوت مرتفع وهذه ايضاً عادة قديمة اذ ان سفر اعمال الرسل ينبئنا عن بولس رسول الامم انهُ لمَّا دُعي للتكلم امام فستوس والي قيصرية بحضرة الملك اغريبا «بسط يدهُ وجعل يحتج» (اعمال ٢٦ : ١) واذ ينتهي المتداعيان من الكلام والاحتجاج واقامة البيّنة والشهود يقوم واحد من القضاة الحاضرين ويعرض على مسامع الجمهور خلاصة القضية ثم يقبّل الارض امام الملك او الامير ويجلس في مكانهِ. عند ذلك لكل من الحاضرين سواء كان من القضاة او من اصحاب المراتب او من عامة الناس حق ان يقف ويبدي رأيهُ ولهُ ايضاً ان يسأل احد المتداعيَيْن او كليهما مستفهماً او طالباً زيادة ايضاح عمَّا أُبهم عليهِ. ولمن شآء كذلك ان يقف ويدافع عن احد الخصمين اذا وجد مدافعته ناقصة او وجدهُ غير عارف باصول المدافعة. واذا ظهر لاحد ان الشهود او احدهم قد تكون شهادتهم زورًا له ان يستنطقهم ويطرح عليهم السؤالات ويطلب منهم اقامة البرهان على صدق شهادتهم. وهكذا حتى لا يعود لاحد ما يقولهُ حينئذٍ يأخذ الملك او الامير مشورة مساعديهِ في القضآء ويختم المحاكمة بلفظ حكمهِ المبرم الذي يُنفذ بالحال

وفيما خلا الجلسات التي يجلس فيها الملك او الامراء على كراسي القضاء في المحل المعين لذلك في بلاطهم يجلس القضاة في الباحات العموميَّة او في بيوتهم او في الاسواق فيسمعون الدعاوي. فكل واحد من الامراء والعمَّال والوكلاء وشيوخ القرى هم بالوقت نفسهُ قضاة يعينون تحت ايديهم رجالًا اعوانًا لسماع الدعاوي في البداية. كما وان كلَّ واحد من عامة الناس هو قاضٍ بناء على طلب احد المتخاصمين اي المدعي ويكون حكمهُ مرعيًا ومبرمًا ما لم يشأ المحكوم عليه استئناف دعواهُ الى قاضي القرية ومنهُ الى الوكيل ومن الوكيل الى العامل ومن العامل الى الامير الحاكم

ومن هـذا الاخير الى الملك وهو يعطي فصل الخطاب في القضايا التي لم يقبل فيها المتخاصمون حكم القضاة والحكام

فاذا تخاصم اثنان على شيء مهماً كان او طفيفاً اعلن احدهما للآخر ان تعالَ نترافع وان هو تركهُ ولم يقبل المرافعة اخطرهُ ثلاث دفعات ولستحلفهُ برأس الحاكم ورأس الامير او الملك مستشهداً عليهِ الشهود فان ثابر على رفضهِ او هرب من وجه خصمهِ استحضرهُ القاضي عنوةً وحكم عليهِ بالسياط اربعين ضربة وضربة جزاء هربهِ من وجه القضاء ثم اجبرهُ على المدافعة عن نفسهِ بما يشتكي عليهِ خصمهُ وتأخذ القضية وان هو لم يهرب من وجه القضاء كما هي العادة ووقف امام خصمهُ ادى هذا مجراها. الخصم احد اللاذين او واحداً من الحضور ولستحلفهُ برأس الامير او الملك ان يحكم بينهُ وبين خصمهُ حينئذٍ يجلس هـذا القاضي على الارض ويجلس من حولهِ من شاء ويفتتح الجلسة وبعد المحاكمة والاخذ والرد واقامة البينة وسماع الشهود يلفظ حكمهُ وللمتخاصمين ان يقبلا هذا الحكم فيكون مبرماً او ان يستأنفاه فيقدّم كلٌّ منهما كفيلاً الى الحاكم الوقت الذي يستلمهما ويقدمهما لقاضي المحلة ومن لا يجد كفيلاً من الخصمين كان الحكم مبرماً عليهِ ولزم انفاذهُ للحال. وقد لا يقبل الحاكم الوقت سماع الدعوى كلها او يكون قاصراً عن اصدار الحكم او ينتحل عذراً ما فيقول للمتداعيين: ليأتِ كلّ واحد منكما بكفيل وتعالا نذهب سويّةً الى القاضي وهكذا يكون

امّا مراتب القضاة فهي هذه على حسب درجاتها:

١ً «اقانكوس» وترجمتها «فم الملك» هو وزير العدلية ونائب القضاء. يجلس على كرسي قضاء المملكة عند تغيب الملك عن هذا الكرسي ويصدر الاحكام باسمهِ واذا كان الملك حاضراً جلس بين يديه وكان لهُ مستشاراً اولاً عند فصل القضيّة ولفظ الحكم. وهذا القاضي الاكبر بل قاضي القضاة لا يكون الّا عند الملك فقط. امّا الامراء فلا يحقّ لهم ان يكون عندهم موظف بهذه الرتبة

٢ً «كانيه‌ونبر» وترجمتهِ «كرسي اليمين» هو القاضي الـذي يجلس من على يمين الملك او الامير عند ما يجلس هذا للقضاء.

٣ً «گراونبر» وترجمتهُ «كرسي الشمال» هو القاضي الذي يجلس على شمال الملك او الامير

٤ً «دانيا» هو القاضي الذي يجلس للقضاء باسم العامل او الوكيل او شيخ القرية. ويدعى بهذا الاسم ايضاً القاضي للوقت الـذي ينتدبهُ احد الخصمين للحكم بينهُ وبين خصمهِ في اي مكان كان

٥ً «اكال دانيا» هو الذي يجلس في المحكمة بدون صفة رسميَّة فيسمع القضيَّة مع السامعين ويعطي رأيهُ ويستنطق المتداعيين والشهود كما اشرنا فويق هذا

وفيما خلا ذلك فلكلّ انسان عظيماً كان او حقيرًا حقّ القضـاء ضمن حدود بيتهِ على اولادهِ وذويهِ وخدامـهِ وعبيدهِ وله ايضاً ان يوظف احد آلهِ او خدمه بوظيفة القاضي ضمن دائرة اختصاصهِ. حينئذٍ تستأنف القضيَّة من هـذا الموظف الى محكمة الامير والملك

وطريقة المرافعة عندهم سهلة جدًا وهي تصير على هذا النوع: يقف المتخاصمان امام القضاء متزرين بوشاحيهما على هيئة مخصوصة ويتكئان على العصي امام الامراء او قاضي القضاة او الملك ثم يرفع الشاكي صوتهُ ويقول: «فأنجزكَ الله العدل وليُظهر لك المسيح الحكمة. دعواي على فلان هي كذا وكذا.» وهو لا يسرد في الشكوى حجة ولا برهاناً البتة حينئذٍ يقول القاضي للمدعى عليهِ: وانت مـاذا تجيب على قول خصمك: فان اقرَّ وجب عليهِ الحكم باقرارهِ وان انكرَ قـال المدعي اني اراهن على صحة دعواي ما هو كذا وكذا كأن يكون هذا الرهن مبلغاً معلوماً من النقود او فرساً ابيض او بغلاً رهواناً او عددًا معلوماً من هـذه المطايا او زنةً معلومةً من العسل او احتمال ضربات معدودة من السياط او غير ذلك. حينئـذٍ امَّا ان يرفض المدعى عليهِ الرهن او يقبلهُ فان رفضهُ عدَّ القاضي ذلك نوعاً من الاقرار بحقّ المدعي وحكم لهذا الاخير وان قبل الرهن تعيَّن على المدعي اقامـة البينة. والبينة عندهم هي الشهود فقط لعامة الشعب ويلحق بها المكاتيب او الصكوك المختومة للكبراء الذين يحقّ لهم ان يكون لهم ختم. وقد دخلت اليوم الصكوك الاعتياديَّة الموقعة بامضاء اليـد كبينة في دعاوي الشعب. فاذا وقف الشاهد لاداء الشهادة قال: «الشهادة دين ونفس الشاهد مطالبة امام الله بالشهادة التي اداها ولا تغني الدنيـا

عن الآخرة » (وهذه العبارة وامثالها عندهم تقوم مقام اليمين الذي يحلفهُ الشاهد في محاكمنا قبل اداء شهادتهِ) ثم يأخذ بإيراد شهادتهِ حتى اذا ثبت للمدعي مدعاه حكم القاضي على المدعى عليهِ بحقوق المدعي وبدفع الرهن لهُ او بتمريض ظهرهُ السياط اذا كان الرهن ضرباً وباداء نفقة المحاكمة وهي ريالان فقط عن أية دعوى صغيرة كانت ام كبيرة. وللملك والامراء ان يُعفوا المحكوم عليهِ عن اداء الرهن بتمامهِ ولهم ابدالهُ بأخف منهُ حسبما يرتأون مناسباً او على نحو حالة المحكوم عليهِ

٦ انواع العقوبات وتنفيذها

١ « الزندقة » يُعدم الزنديق رجماً بالحجارة اذا اصرَّ على زندقتهِ وذلك بحكم مجلس مؤلف من قضاة الدين والدنيا

٢ « الجنايات والجنح » يتبع فيها غالباً قاعدة العين بالعين والسنّ بالسنّ. فالقاتل يُعدم بيد آل القتيل وبمثل الآلة التي قتل بها فان قتل بالسيف مات بالسيف وان رمى بالرصاص أعدم رمياً بهِ واذا كان بغير ذلك من الطرائق أعدم شنقاً. ولآل القتيل حقّ العفو عن القاتل ولهم ايضاً ان يكلوا اعدامهُ للحكومة فتعدمهُ شنقاً في الغالب او بطريقة اخرى حسب ارادة الملك او الامير او ان يقبلوا منهُ دية الدم او ان يجدعوا انفهُ او يبتروا يدهُ او رجلهُ او غير ذلك من اعضاء جسدهِ ويبقوهُ حياً مشوهاً على هذه الصورة. وليس للامراء حتى ولا للملك حقّ العفو او ابدال العقوبة لا في القتل ولا في شيء من الحقوق الشخصيَّة على الاطلاق

والقاطع اليد او الرجل او مُفقد قريبهُ احد اعضائهِ يعاقب بافقاده العضو الذي افقدهُ لقريبهِ فتقلع عينه اذا قلع عين قريبه ويُجدع انفهُ او تقطع يدهُ او رجلهُ او نحو ذلك اذا جدع الانف او قطع اليد او الرجل وهلمَّ جرّاً. والضارب والجارح يعاقب بالضرب بالعصي او بالسياط حسب اهميَّة الجرم ويحكم للمضروب او المجروح بتعويض مالي يُقدّر على حسب اهميَّة الضرب والجرح

والسارق يُضرب بالسياط ويُجبر على ردّ المسلوب واذا عاود السرقة مرة ثانية ضوعف عدد الضربات ثمَّ يكوى على جبهتهِ ليعرفه الناس اينما ذهب. واذا سرق دفعة ثالثة قُطعت يدهُ وفي المرة الرابعة يُعدم شنقاً او يشوه بقطع اليد الاخرى

واحدى رجليهِ او انفهُ او نحو ذلك حسب ارادة السيد

والمجترم الفحشاء مع امرأة لها زوج يُحكم عليهِ باداء تعويض مالي قدرهُ ستون ريالًا لرجل تلك المرأة. واذا فاجأ الرجل امرأتهُ متلبسةً بجريتها جاز لهُ قتلها وقتل الزاني معها ولكن اذا كان هذا القتل تبعاً لاتيان الجريمة حُسب القاتل مجرماً وحُكم عليه بالاعدام

والشاتم يُحكم عليهِ بتعويض مالي للمشتوم وبالضرب بالعصي وبالسياط اذا كان المشتوم من الشرفاء او اصحاب الرتب

والثالب العرض والشرف عليهِ اقامة البينة على صدق ما قالهُ فان كان ما قالهُ حقيقةً لا يُجازى وان كذباً يُحكم عليهِ بالتعويض المالي والضرب بالعصي والسياط واذا كان المثلوب هو الملك حكم على الثالب بالاعدام

ومن حلف برأس الملك او الامير كذباً حُكم عليه بجزاء نقدي قدرهُ ثلاثون ريالًا

والذي بذمتهِ مال نقودًا ام عروضاً حُكم عليهِ باداء هذا المال

ومن اتلف بهيمةً او بضاعةً او ثوباً او شيئاً آخر لقريبهِ يضمن ما اتلفهُ باداء قيمته او بدله او ثمنه واذا كانت البهيمة مستأجرة وتلفت بتقصير او بتعمد منهُ يضمن واذا تلفت بطارئ من غير ارادتهِ لا يضمن

وفي غير ذلك من الحالات المتعددة يقضي الحاكم حسبا يأمر بهِ الضمير والذمة

اما التنفيذ فيجري عاجلًا بعد لفظ الحكم او يعطى عليهِ كفيل الى ان يستأنف لمحكمة اكبر. فاذا قبضت الحكومة على مجرم او سلمه اليها انسان قيّدتهُ بالقيود ووضعتهُ في سجن الى ان يقضى عليهِ بالاعدام او بالسياط او غير ذلك وليس السجن عند الاحباش عقوبة بل هو توقيف ومحافظة على المجرم خوفاً من هربهِ. ويجوز للموقف فيما خلا الجناية الكبيرة ان يعطي كفيلًا ويخرج من سجنهِ الى يوم الموافقة امام القضاء. وعندما يُلفظ الحكم بالاعدام او بتشويه الجسم او قطع الاعضاء او الضرب بالسياط او بالعصي ويكون هذا الحكم مبرماً بصدوره من الملك او بعدم استئناف هذا الحكم في المحاكم التي هي دون محكمة الملك او بعدم امكان المحكوم عليهِ ان يعطي كفيلًا اذا اراد الاستئناف يؤخذ المحكوم عليهِ حالًا وسريعا

وينفّذ عليهِ الحكم. واعلم ان الحكم بالقتل والتشويه وقطع الاعضاء والسياط اكثر من اربعين ضربة هو من صلاحية الملك وقاضي القضاة والامراء. وما دون ذلك يدخل في صلاحيَّة القضاة والحكام والعمَّال وشيوخ القرى الخ

وعند ما يصدر الحكم بدفع النقود للمدعي ويكون هذا معزماً بالصورة التي ذكرناها سلَّم القضاء المحكوم عليهِ ليد المحكوم لهُ وهذا يقيدهُ بالحديد ويسجنهُ في بيتهِ فلا يخرج من هناك حتى يفي آخر فلس عليهِ. ولكن على المحكوم لهُ ايضاً ان يعطي كفيلاً انهُ لا يعذبهُ ولا يبقيه جائعاً ولا يضربهُ ولا يضرّ بصحتهِ عمداً. واذا لم يفِ الاسير ما عليهِ كأن لم يتيسر لهُ ذلك ليتحرر من قيودهِ جاز لمقيّدهِ ان يستخدمهُ في عملٍ ما باجرة المثل في البلد الى ان يستوفي مالهُ عليهِ او يسلمهُ للحاكم ويطلب منهُ ان يضربهُ بالسياط سوطاً عن كلّ ريال ثم يجيزهُ. واذا شاء ان يجيزهُ لوجه الله تعالى اخذ الاسير شهوداً على ابراء ذمته ودعا لهُ وانصرف

٧ وظائف البلاط الامبراطوري وقصور الامراء

للملك والامراء كلٌّ في قصرهِ اعوان ومقربون بوظائف مختلفة هي بقايا من بلاط ملوك التاريخ القديم والقياصرة الرومانيين وسلاطين الروم والملوك الاوربيين في الاجيال الوسطى. واليك اهم هذه الوظائف

١ « ليقامقواس » هو موظف تقتصر وظيفته على وقت الحرب والغزوات وذلك بان يلبس الحلَّة الملكيَّة وتُحمل فوقهُ المظلة الحمراء ويقف الخدم والحشم من حولهِ اذ يكون الملك خاضَ غمرات الوغى مع جيشهِ. وهي حيلة يقصد بها تحويل نظر العدو عن الملك الحقيقي فيلهو بهجومهِ على من تقلد هيئة الملك ولا يلتفت الى حيث يكون قد اعدّ الملك خطة الهجوم وعمل على القاء عدوهِ في التهلكة. وهذه الوظيفة مختصة بالبلاط الامبراطوري دون قصور الامراء

٢ « ليكابا » هو رئيس الحرس الامبراطوري

٣ « ازاج » هو القيم الذي يكون بيدهِ نفقة القصر او نفقة محلة اخرى تابعة لهُ. ويطلق ايضاً هذا الاسم على الذي يكون بيدهِ استثمار الاملاك الخصوصيَّة العائدة الى الملك او الامير وعلى الذي بيدهِ استلام العشور التي تؤخذ عيناً من

البخانع والبهائم والحبوب وتوزيع الجرايات والتعايين على الجنود والحراس وتقديم لوازم للمطابخ والمسالخ والاصطبلات الاميرية ونحو ذلك

٤ً «بدجروند» هو المتسلم خزانة الملك او الامير وما بها من مال ومتاع وجواهر ونفائس وملابس ونحو ذلك. ويكون هـذا في الغالب خصياً ومن تحت امرتهِ كلهم من الخصيان. لان الخصيان ليس لهم طمع في الدنيـا فلا يقدمون على السرقة. وهي عادة عريقـة في القدم ان يكون المشرف على خزائن الملوك خصياناً اذ يذكر سفر اعمـال الرسل ان القديس فلبس احد الرسل السبعين عمَّد خصى كنداكة ملكة الحبش الذي كان متسلماً خزائنها وهذا جاء عرضاً الى اورشليم ليسجد (اعمال ٨:٢٧ وما بعده)

٥ً «گنجابيت» هو امين الصندوق تحت امرة السابق

٦ً «صهافي تنزاز» هو المهردار وكاتم الاسرار

٧ً «اگافري» هو الحاجب ووكيل التشريفات. ويكون عادة الموظفون بهذه الوظيفة كثيرين بعضهم للبيت الخاص وبعضهم للولائم وبعضهم للاستقبالات وبعضهم للاسفار والنزوات وبعضهم لغير ذلك

٨ً «اندارابيه» هو السفير الخاص الـذي يستقبل باسم الملك او الامير او ينتدب بقصادة ما ليمثل مولاه. ويدعى ايضاً «مسلانيه» والكلمتان مترادفتان

٩ً «اسلاَفي» هو رئيس السقاة وتحت امرتهِ الذين يفرشون الموائد والولائم ويقدّمون الطعام والشراب للامير والمدعوين

١٠ «بيتودد» هو الصاحب الـذي يستشيرهُ الامير سراً في جميع اعماله وقد يكون هذا صاحب رتبة اخرى عسكريَّة او ملكيَّة او احد الامراء

١١ «بالاموال» هو المتقرّب الذي يدخل على الامير من غير ان يُطلب بامر خاص وهذا لا يمنعهُ الحجاب عن الدخول في اي وقت جاء

١٢ً «مكاني» هو الذي يهتم بامر تنسيق الطعام وتوزيعهِ لغـذاء الامير واهـل بيتهِ وهو الذي يأمر باعداد كذا وكذا من الطعام والشراب للولائم حسب عدد المدعوين

١٣ً «گاشا جاگره» هو الـذي يمشي الى جنب الامير حاملاً سيفهُ وترسهُ المحلّى بالذهب

١٤ً «جانطلا جاگره» هو الذي يمشي الى جنب الملك او الامير مظللاً هامهُ بالمظلة. وقد أُدخلت مؤخرًا الى البلاط الامبراطوري عادة حمل راية الملك في الاحتفالات الرسميَّة. فتعيَّن على صاحب هذه الوظيفة ان يحمل هذه الراية

١٥ً «إلفين اشكر» هم غلمان من اولاد العظماء واركان دولة الملك او الامير يجعلهم هذا السيد في بيتهِ ويؤلفهم حول سريرهِ ليتعلموا آداب الحكومة وعوائد البلاط ويجعل لهم اساتذة ومهذبين يقرأون عليهم الكتاب المقدَّس وبعض مقاطيع مشهورة في مدح الامراء والملوك والابطال وفي الحماسة وشرح الوقائع التي انتصر فيها الملوك والامراء الاحباش ونحو ذلك. ومثل هذه العادة كانت جارية عند الملوك القدماء. فكانت تُعرف اولئك الغلمان عندهم باسم (Pages) وتكرم الرعيَّة هؤلاء الفتيان باسم «ليدج» يماثلها في بلاط ملوك اوربا في القديم اسم (infant) ولكن هـذا الاسم يطلق عندهم على الغلمان الذين هم من دم ملوكي اما في الحبشة فيطلق اسم ليدج على اولاد الشرفاء والامراء والعظماء جميعهم ويبقى هذا الاسم عليهم حتى بعد ان يشبوا او يهرموا ما لم يُعطوا رتبة عسكريَّة او ملكيَّة فيطلق عليهم حينئذٍ اسم الرتبة ويبطل اسم ليدج

وفيما سوى ذلك يوجد في القصور مسلطون او رؤساء وظائف من ذلك رئيس الذباحين ورئيس الطهاة ورئيس عمال الحدائق والجنائن ورئيس الخبازين ونحوهم وقد زيد عليهم مؤخرًا اوربيون موظفون في قصر النجاشي وقصر امير هرر وهم رئيس المهندسين ورئيس الاطباء ورئيس الصيادلة ورئيس مسكب النقود ورئيس المدارس الامبراطوريَّة ورئيس النجارين ورئيس الحدادين ورئيس البنائين ورئيس الصياغ والجوهريين والخياطين وما شاكل ذلك من الوظائف الجديدة التي لم يكن لها من اثر في الاصل ادخلتها اليوم الحكومة الحاليَّة من جراء احتياجاتها الجديدة (لها بقية)

جنديٌ مسيحيٌ

لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا أُعلن الدستور العثماني قبل ثلاث سنوات وتقرّرت بفضلهِ المساواة بين عناصر الدولة في الواجبات والحقوق مع قطع النظر عن الاديان ترتّب على كلّ ابناء البلاد ان يخدموا وطنهم ويذبّوا عن حياضهِ ويضحّوا النفس والنفيس في صيانة حرمتهِ . وما كان النصارى ليتأخروا عن هذا الواجب المقدَّس وهم قد أُمروا ان يؤدُّوا ما لقيصر لقيصر فرأيناهم يسيرون الى الاقتراع العسكري بِلْ النشاط تتقدّمهم آلات الطرب والرايات العثمانيـة ويحضّهم رؤساؤهم الروحيون على اعتبار شرف مهنتهم والقيام بفرائضها الخطيرة

ولو اردنا ان نلتمس لهؤلاء المتجندين امثلةً سابقة في تاريخ النصرانيّة يأتسون بها ويجرون على آثارها لما اعتاص علينا الامر وبين شهداء الكنيسة وقدّيسيها الوف وربوات خدموا الله والقيصر في الجندية اصدق خدمة كالقديس جرجس والقديس موريقيوس ورفقتهِ وغيرهم كثيرين ممَّن لم يخالفوا الملك الارضي في شيءٍ الّا اذا امرهم بمخالفة ملك السماء فرأوا ان الله احقُّ ان يُطاع من البشر

وكأنهُ تعالى اراد ان يجعل لمواطنينا النصارى المتجندين مثالًا حديثًا اقامهُ لهم في لبنـان في اواسط القرن المنصرم بشخص رجل جمع بين الشجاعة وحبّ الوطن وبين الامانة لربهِ وخلوص الخدمة لرؤسائهِ ما امكنهُ لكنهُ لم يأنف من مخالفتهم اذ رآهم يعرّضون بالاوطان لاستعباد الاجانب وخَلْع الطاعة للسلطان الشرعي نريد بهِ بطل لبنان وفارسهُ المغوار ابا سمراء غانم البكاسيني

وليست غايتنـا في هذه العجالة ان نعدّد كلّ مآثر الرجل بالتفصيل لما يقتضي الامر من طول الايضاح الـذي لا يوافق المجلّات الموقّتة فضلًا عن كون احد اقربائهِ واعرف الناس بهِ سبقنا الى ذلك متسترًا تحت اسم خليل همّام فائز فاتسع في بيان سيرة « ابي سمراء غانم او البطل اللبناني » التي طبعها في مصر سنة ١٩٠٥ فاغنانا عن ايراد دقائقها وتتبّع كل فرائدها وانما اقتصرنا على ذكر ما وجدنا في تلك الحياة

من الاخبار الصادقة المثبتة لعلوّ مقام المترجم من حيث خدمة وطنه في الجنديّة ومن حيث اعتصامه بحبل الدين غير المنفصم فيستقرّ تعريفنا له بالجندي المسيحي وكفى بذلك تنويهاً بعميم فضله وتنشيطاً للازمي الخدمة العسكريّة كي يحذوا حذوهُ في حبّ وطنهم والثبات على واجباتهم الدينيّة

١ الجنديّ

ان توقّلت جبل لبنان صاعداً الى مشارفه شرقي صيداء أدّى بك السير بعد نحو خمس ساعات الى قرية متوسطة الكبر من اقليم جزّين تدعى بكاسين موقعها على رابية تبعد عن قصبة الاقليم مسافة ساعة وتطلّ على ما حولها من المزارع والقرى وتكتنفها الاشجار الوطنيّة لاسيا الزيتون والتوت وفي جنوبها غابة كبيرة من الصنوبر تجرّد هواءها من كلّ الجراثيم المدية. والظاهر انّها بلدة قديمة كما يدلّ عليها اسمها الفينيقي الذي معناه على الارجح « بيت الكرْوس » اشارةً الى ما كان يُغرس هناك من اغراس الجفنة ويُسكب من اجناس الخمرة في الكرْوس لاكرام الآلهة او لمسرّة اصحاب اللهو. وقد ورد ذكر بكاسين في حروب الفرنج في سجل املاك الفرسان الالمان فدعوها تارةً Bikicin وتارةً Bequicin وحيناً Bkeshtin ويذكرونها مع تيرون الشهيرة بقلعة الصليبيين ومع قيتوله (١ وسكانها اليوم ينيفون على الفي نفس كلّهم موارنة الّا بعض افراد من الروم الكاثوليك. وقد عُرف البكاسينيّون بتقاهم وذكائهم وإقدامهم اشتهر بينهم عدّة رجال صاروا فخراً لوطنهم

ففي تلك القرية ولد السنة ١٨٠٥ الرجل الذي تولينا تعريب احواله ابو سمراء بن خير الله غانم الماروني فدُعي يوم تنصيره باسم جرجس شفيع الجنود المسيحيين وانّما أُطلق عليه اسم جدّه ابي سمراء فصحّ فيه الاسمان كلاهما مع دلالتهما على الفروسيّة والشجاعة. وكانت عائلة اجداده بيت غانم تقطن سابقاً حقد في جهات بلاد جبيل فكثر بنوها وتناسلوا وتفرّعوا فروعاً اشتهر في كلّ منها بعض الافراد اخصّهم ابو علوان غانم احد حجاب الامير فخر الدين المعنيّ الذي اقطعهُ مولاهُ ربع قرية بكاسين في

(١ اطلب مقالة رهريخت (Roehricht) عن جغرافيّة سورية في القرون الوسطى (ZDPV, X, 274)

القرن السابع عشر فسكنها واولاده من بعده ولم تزل اسرته نامية الى يومنا ينبي عددها بالبركة التي يمنحها الله للعيال المسيحيَّة

عُرف الفتى ابو سمرا منذ نعومة اظفاره بإباء طبعه وأنفته من الاستبداد والظلم . واذ توفيت امُّهُ وهو ابن سنتين فوقع تحت حكم خالة اقترن بها ابوهُ في زواجٍ ثانٍ كانت هذه تشدّد عليه في المعاملة وتسيء اليه الصنع فلم يرَ بدًّا من مهاجرة البيت ليلحق بابيه وهو اذ ذاك في بعقلين يبني بيوتًا للشيخ حسن الجنبلاطي فانخرط في سلك صغار العملة وبقي في دار الشيخ مع والده

ثم حصلت في تلك الاثناء منافرات ومنازعات بين الشيخ بشير كبير آل جنبلاط والامير بشير الشهابي المعروف بالكبير والمالطي اضطرب بسببها كلّ جبل لبنان فكان قسم منهم مع الجنبلاطيين وقسم مع الامير بشير الشهابي فتفاقمت الامور وكثرت المناوشات ودخل في الامر ممثلو الدولة العثمانيّة كعبدالله باشا وصاحب الامر في القطر المصري محمّد عليّ باشا عزيز مصر ولم ينتهِ الخصام الّا بقتل الشيخ بشير في عكا مع عضده الشيخ امين العماد

فصفا بذلك الجوّ للامير بشير واطمأن باله واخذ يعتني بتحسين بيت الدين وتجهيزها بالدور العامرة والسرايات الفخيمة والقصور الانيقة استحضر لبنائها احذق المهندسين والصنعة وامهر النقّاشين من حلب والشام وجرّ اليها مياه نبع الصفا من عين زحلتا وأنشأ البساتين والحدائق حتّى اصبحت بيت الدين مقاماً اهلاً لملك ذي عزّ وجاه

فانتقل ابو سمراء مع والده الى خدمة الامير في تشييد ابنيته. لكن الشاب ما لبث ان رأى من حاشية الامير بشير وخدمه وجنوده ما ابهرهُ وحرّك في قلبه كمين عواطفه واحسَّ بالميل العظيم للعيشة الجنديّة فنبذ مهنة البنّائين وطلب ان ينحاز الى حشم الامير وجنوده فلبّي الامير ملتمسهُ اذ توسّم فيه البسالة والجرأة وعمرُ الغلام اذ ذاك لا يبلغ العشرين

فاستفزّت الحميّة ابا سمرا في جوار الامير وبين نخبة فرسان اهل لبنان فكان معظم رغبته ان يتشبّه بهم في نقل السلاح وركوب الخيل وحسن الرماية بالرصاص واحكام الضرب بالسيف فبلغ بالتمرين المتواتر ما لم يبلغهُ الّا القليلون منهم قيل انهُ كان يقطع ورقة السيجارة على مسند دون ان يثلمهُ ويرمي المنديل في الهواء

فيقطعهُ بالسيف ويصيد الطائر في طيرانهِ ويسبق الفرسان في الميدان على حصانهِ ويغلبهم في لعب الجريد وربَّما وضع على السرج تحت فخذهِ ريالًا مجيديًا فيسير الساعات دون ان يسقطهُ لبراعتهِ في الركوب. فاخذ اسمهُ ينتشر في انحاء الجبل ويعتبرهُ مواطنوهُ كفارس مغوار وفتى حَرْب

وكأنَّ الله اراد ان يعدَّهُ ايضاً للتدبير والسياسة وقيادة الناس فاختارهُ احمد باشا اليوسف كاخية الامير بشير بعد ثلاث سنوات قضاها في خدمة الامير الشهابي ليتولى نظارة املاكهِ الواسعة في جهات الشام والبقاع وقرى دمشق كعيتنيت والشبية ومجدل عنجر نجعل يراقبها بنشاط ويقيِّد حساباتها وينظر اعمال الفلاحين وامور الزارعين ثمَّ ينتقل الى مولاهُ في دمشق فيؤدي له الحساب المدقَّق عن كلّ شيءٍ حتى اقرَّ له بحسن النظر وصدق الخدمة وعلت منزلتهُ لدى كلّ من عرفهُ

فكانت هذه الصفات الطيِّبة اهَّلت ابا سمرا لتجشُّم الاخطار واقتحام الاعداء. فما لبثت الفرصة المناسبة ان حضرت فاظهرت لأعين الجميع ما طُبع عليهِ من رباطة الجأش والشجاعة في ساحة الوغى وذلك انَّ اهل نابلس شقُّوا عصا الطاعة على واليهم عبد الله باشا وابوا ان يدفعوا الاموال الاميريَّة وتحصَّنوا في قلعتهم فاستنجد عبد الله باشا بالامير بشير فامدَّهُ الامير بكوكبة من الفرسان اللبنانيين سنة ١٨٣٠ وسار الى تلك الحرب احمد باشا اليوسف فطلب ابو سمرا ان يسير برفقتهِ فاذن له فكان في مقدَّمة المحاربين كانَّهُ تحنَّك في آداب الحرب منذ زمن طويل. ولم يخف ان ينازل زعيم الثائرين ويناجزهُ القتال حتَّى فتك بهِ غير هيَّاب لرصاص فرقتهِ وضربهِ بالسيف فأتى برأسهِ والقاه في المعسكر عند اقدام الامير بشير الذي كافأهُ عن فعلهِ واعتبرهُ منذ ذاك الحين كاحد فرسانهِ الابطال

ولما انتهت تلك الوقائع بكسرة النابلسيين حدثت في سوريَّة امور اخرى خطيرة لعب فيها ابو سمرا دورًا مهمًّا نريد بها حملة المصريين على بلاد الشام التي جعلت سوريَا ولبنان ميدان حرب دامت تسع سنين (١٨٣١ — ١٨٤٠). وكانت لهذه الحرب اسباب خفية وعلنيَّة ومقدَّمات ولواحق يصعب ايضاحها في صفحات قليلة بقي اللبنانيون فيها متذبذبين متردّدين لا يعلمون مَن يناصرون. الَّا انَّهم في السنين الاولى تبعوا الامير بشير الذي خاف سطوة محمَّد عليّ ولم يجد في الدولة العثمانية

ما ينقمهُ من بطش المصريين ولاسيَّما انهُ كان لا يكاد يرى في عمّال الدولة وبالخصوص في عبدالله باشا والي عكّا الّا الاستبداد وبخس الحقوق. وزد على ذلك انَّ الدولة العليَّة كانت بعد حربها مع اليونان وتحطيم عمارتها في معركة نفارين عجزت عن صيانة رعاياها والولايات البعيدة عن دار السلطنة. فكلّ هذه الاسباب حدت بالامير بشير الى ان ينضمّ الى محمّد عليّ عزيز مصر والى ابنهِ سرّ عسكر الجيوش المصريَّة ابراهيم باشا. امَّا اللبنانيُّون فما كانوا لينفصلوا عن اميرهم الشهابيّ بعد ان رأوا فيهِ ما رأوا من الجاه والرونق والسجايا الملوكية تجعل جبلهم في اعين المعاصرين كمقام العزّ ومباءة النعمة والعمران

وبقي آل لبنان بعد دخول ابراهيم باشا في سوريَّة في راحة بال وطمأنينة وهو يعاملهم باللطف ومساواة الحقوق ويمنحهم الحريَّة التامَّة في امور دينهم ويخوّلهم انعامات لم ينالوها قبلًا من غيرهِ فزاد الجبل تقدُّماً ورفل بحلل السلم والرقيّ الى السنة ١٨٣٥. وفيها اخذ المصريون يسومون الخسف اهل الشام وابتدأوا بالدروز وعرب حوران وحاولوا ان يسلبوهم بعض امتيازاتهم ويضطرُّوهم الى الخدمة العسكريَّة فأبى الدروز الطاعة وعمدوا الى العصيان فلم يرَ ابراهيم باشا بدًّا من مناجزتهم القتال. لكنَّ تلك الحرب كادت تدور عليهِ رحاها لولا الامير بشير وقوم الموارنة اللبنانيون الذين دعاهم الى نجدتهِ فكسروا شوكة الثائرين وقد برَّز ابو سمرا غانم بين المقاتلين وربَّما كان القوّاد يدعونهُ اذا اعتاص عليهم امرٌ ما كنقل الرسالات الحربيَّة وانقاذ مواطنيهِ من الاخطار فبات معزَّزًا مكرَّماً من الجميع يشيرون اليهِ بالبنان لبأسهِ وعلوّ همّتهِ

على انَّ الدولة المصريَّة اذ رأت ان قدمها رسخت في بلاد الشام ولا سيَّما بعد واقعة نصيبين قريباً من حلب في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ حيث انتصرت على الدولة العليَّة وبعد خيانة محمود باشا الذي سلَّم لمحمَّد علي بقايا الاسطول العثماني ظنَّت انَّ سلطتها تمكَّنت ولم تَعُد تحتاج الى مراعاة رعاياها السوريين وكانت نفقات الحرب قد ابهظت عاتقها وافرغت خزائنها فاخذ ابراهيم باشا يثقّل على اللبنانيين بصنوف الضرائب ويفرض عليهم ما لا تطيقهُ قواهم من السخرة حتى ناءت تحت هذه الاثقال عواتقهم. ثمَّ زاد غيظهم وحنقهم على المصريين اذ وردت اوامر محمَّد عليّ

بجمع اسلحة النصارى وادخالهم في الجنديّة قهرًا . فكبر الامر على اهل لبنان ولم تُطق نفوسهم الابيّة احتمال هذا الجور . فانسلخوا عن الامير بشير واجتمعوا بالدروز والمتاولة وتحالفوا على اختلاف طوائفهم وتعاهدوا على الاتّحاد لمقاومة المصريين . وقد وجدت اصواتهم صدىً في قلب ابو سمرا فانحاز اليهم واخذ يتجوّل في نواحي لبنان يدعو اهلهُ الى كسر النير المصريّ والانتماء الى الدولة العليّة فوقع كلامهُ في القلوب كشرارة نار في بارود واضرم الحميّة في الصدور فاندفع اللبنانيون يتقاطرون اليهِ من كلّ صوب فتولّى امرهم بينما كان زعماء الدروز والمتاولة يسيرون من جهتهم لمحاربة المصريين فهزموهم في عدّة مواقع وغنموا اسلحتهم وقطعوا عنهم الميرة وتبعوهم الى جهات طرابلس وعكّار والضنيّة فكان صيف تلك السنة ١٨٤٠ كمعرض ابطال رأى الشرقيّون والغربيّون فيهِ من مآثر اللبنانيين ما حيّرهم وهم رجال لم يعتادوا الحروب لا ميرة لهم ولا اسلحة فيهجمون على العدوّ وينقضّون عليهِ كالنسور فلا يكاد ينتبه لامرهِ ويعود الى رشادهِ حتّى يرى الجبليين نكصوا على اعقابهم فائزين بالغنائم . وكان ابو سمرا في مقدّمة اصحابهِ لا يكترث لعدد الاعداء او يبالي باسلحتهم . الّا انّهُ عرف الاهوال وأُصيب غير مرّةٍ بالجراح الكثة ما كان يلبث ان يعود الى ساحة القتال حتى خُيّل لرفقتهِ انّهُ لا تعمل فيهِ قذائف العدوّ وقد وضعوا في وصف شهادتهِ تلك الاهازيج والاناشيد التي تنبئ باعتبارهم لشخصهِ ولامثالهِ في البسالة الفارس يوسف الشنتيري (اطلب كتاب الترجمة ص ٣٢٨—٣٣٩) . وممّن شهدوا على مآثرهِ اذ ذاك المؤرخ قيصر ڤيلركاتي في كتابهِ « القسطنطينيّة ومصر » حيث قال ما تعريبهُ (ص ٣٣٢) :

« انّ ابا سمرا (وشرح اسمهُ بابي الشديد) كان في الرابعة والثلاثين من عمرهِ ليس الأ . . وهو ربعة القامة حادّ النظر . . . ولمّا انتشرت الثورة في الجبل ضدّ محمّد عليّ اذّى فروض الطاعة للدولة ولشريف الطيّبة بين اهل لبنان تبعهُ عدد غفير منهم فاضطرّ بسبب سلوكهِ هذا الى ان يبتعد عن الامير بشير ويلتجئ الى جبل عكّار وقد حارب طويلًا مع اتباعهِ الجنود الالبانيّة والارنؤوطيّة التي كانت تستنفر على الجبل . وقد قابل وحدهُ في طرابلس فرقة من الخيّالة بدون ان يصيبهُ جرح ووقع بنفس هذه الشجاعة بالقرب من بيروت عددًا من المصريين وبعد ان قتل عشرة رجال منهم عاد الى الجبل وكانت بسالتهُ موضوع اعجاب ذويهِ الذين لقّبوهُ بابي الغارات الذي لا تعمل فيهِ الاسلحة . ظناً وقد على عزّت باشا من عسكر الدولة اذّى خدماً جزيلة مع ثلاثمائة من اتباعهِ للسياسة الجديدة التي انتصر لها »

وقد عرف له عمّال الدولة خدمةُ هذه المشكورة فاستدعاه عزّت باشا واستقبلهُ بالترحاب ووكل اليه قيادة اللبنانيين ولقبهُ بلقب الاغا وهو اوّل نصرانيّ اصاب ذلك الامتياز وارسلهُ الى شمالي لبنان لمقاتلة العساكر المصريّة . فلم يخلف ابو سمراء ظنَّهُ واتى في تلك الجهات بآثارٍ يكفي قسمٌ منها لتخليد اسم وطني خامل . فكان يتعقب آثار العدوّ حيثما كان لا يكترث لعددهِ وذخائرهِ الحربيّة فيأتي النصر حليف لوائهِ . ومن يقرأ في ترجمتهِ تفاصيل وقائعهِ مع المصريين في بلاد جبيل وجهات طرابلس وفي نواحي الارز وفي عيناتا حتى سهول البقاع الى مرج عيون وتابلس لا يتمالك من اطراء محامدهِ يراهُ كاحد اولئك الابطال الذين كثر السمع عنهم وقلّ النظر الى امثالهم . وقد جُرح غير مرّة في تلك المعارك وقُتل تحتهُ عشرة من الخيل لكنَّ تلك المخاطر ما كانت لتضعف عزمهُ او تردّهُ القهقرى فيهزأ بالموت ويزدري بفتك الاسلحة

على انَّ المصريين ضاعفوا قوّاتهم وألوا بان يفوزوا بالغلبة على بلاد الشام فحملوا الحملات التي كادت تشيب لها الرؤوس واوشكت ان تظفرهم بالمرغوب لولا انَّ الدول تصدّت للحكومة المصريّة ونكصتها على الاعقاب وكسرت شوكة عاضديها بخلع الامير بشير الكبير ونفيهِ الى مالطة وتولية الامير بشير قاسم ابن عمّهِ بدلًا منهُ . ولم تتمّ هذه الامور الّا بعد اضطرابات ووقائع لعب فيها ابو سمرا دورًا ذا بال وكافأتهُ الدولة العليّة عنهُ برفع رتبتهِ فسمّتهُ بلوكباشي وشيخًا على شمالي لبنان وجازتهُ بمبلغ مالي وافر اداهُ لهُ مصطفى باشا الداماد صهر السلطان عبد المجيد ومنحتهُ خلعة سنيّة البسهُ اياها السر عسكر فعاد الى وطنهِ بعد مفارقتهِ لهُ صغيرًا في حداثة سنّهِ فاستقبلهُ مواطنهُ بما لا يوصف من البهجة وانسوهُ باكرامهم مما لقيهُ من الاهوال في الحروب

لكن احوال لبنان لم تهدأ بعد خروج المصريين زمنًا طويلًا فتوالى في تدبيرهِ الامير بشير قاسم (١٨٤٠) ولم يحسن المعاملة مع اهلهِ فعُزل ونُفي ثم خلفهُ في التدبير عُمر باشا المعروف بالنمساوي بصفة حكمدار (١٨٤١) ثم قُسم الجبل الى قائمقاميّتين نصرانيّة تولّاها الامير حيدر اللمعي ودرزيّة تحت حكم الامير احمد ارسلان (١٨٤٢) فبقي الامر على ذلك الى السنة ١٨٦٠ حيث جرت تلك الحوادث التي لم تبرح من ذكر كلّ نصارى الجبل . فهذه العشرون السنة كانت من السنين المشئومة

على لبنان تفاقم فيها الفساد واستفحل الشرّ وزاد الهرج والمرج فجرت بين النصارى والدروز حروب ومقاتلات اضعفت العنصرين وحوّلت الجبل الى منقع من الدماء. جعل اعداءهُ يشمتون فيهِ ويرقبون احوالهُ رجاء ان يسلبوه امتيازاتهِ القديمة. ولأبي سمرا آغا في هذه السنين مآثر أُخرى ليست دون آثارهِ في الحرب المصريّة. ولا يسعنا ان نعدّدها بالتفصيل لكثرتها وخوفاً من ان ننكئ الجرح المندمل. فنحيل القرّاء الى مراجعتها في ترجمتهِ المطوّلة (١. وغاية ما يُقال انّ اصحاب الامر كانوا في كلّ الاحوال ينيطون اليهِ مقاليد الامور حتى قلّدهُ الامير حيدر رتبة بكباشي على الجبل ثم نصبهُ احد باشاوات الدولة شيخاً على اقليم جزّين

وفي تلك الاثناء (١٨٤٧) سار عُمر باشا السابق ذكرهُ الى جهات ما بين النهرين لمحاربة بدرخان زعيم الأكراد الذي قام على الدولة في نواحي جزيرة ابي عمر فلعلمهِ ببسالة ابي سمرا دعاهُ الى صحبتهِ وعيّنهُ قائدًا على مئتي خيّال فحرّك الامر عوامل الحسد في قلوب الضباط ألّا انّ اعمال الآغا النصراني ما لبثت ان اكسبتهُ اعتبار كلّ رفقتهِ واحرزت لهُ مجدًا اثيلًا حتّى افتخر بهِ نصارى ما بين النهرين. ولمّا أُصيب بمرض في بعض حملاتهِ وحُمل الى ديار بكر تسارعوا الى معالجتهِ وفي مقدّمتهم اسقف المدينة الكلداني بطرس دي ناطالي. وبعد مدّة انتهت تلك الحرب بتسليم بدرخان نفسهُ لرحمة الحكومة فعاد ابو سمرا مكرّماً معزّزًا الى وطنهِ وما لبث ان اقترن بالزواج المسيحيّ بفتاة صالحة من اسرة بيت العوشي تدعى تاجاً فكان ذلك الاقتران كهدنة في حياة ابي سمرا ذاق فيها نصيباً من الراحة والهناء. وقد باركهُ الله بعددٍ من الاولاد ذكورًا واناثًا كانوا فرحاً لاهلهم ومجدًا لوطنهم وفخرًا لطائفتهم. وكان يحقّ لأبي سمرا بعد كلّ هذه الاعمال الجليلة ان يلزم بيتهُ وينقطع الى العيشة العائليّة لكنّ الألسنة كانت تتناقل مآثرهُ في انحاء الجبل فتستثير في قلوب اعدائهِ حزازات دفينة فحاولوا غير مرّة ان يفتكوا بهِ لكنّ اصحابهُ كانوا يسهرون عليهِ فانقذوهُ من ايدي طالبيهِ او قل بالحري انّ الله نجّاه منهم في تلك الأيّام التعيسة وعلى الاخصّ في حوادث سنة ١٨٦٠ حيث جعل مبغضوهُ جعالةً لمن يأتي بهِ حيّاً او ميتاً فافلت من ايديهم بعناية الله الخاصّة ولحق بجيش الاحتلال الفرنسويّ الذي ارسلهُ نابوليون لقطع دابر الفتن

١) اطلب كتاب الآثار النصرانيّة في الشرق للاب ا. رباط (ج ٣ ص ١٦٥ ...)

في لبنان وادّى لمساعدة مواطنيه المظلومين خدماً اقرّ له بها الكولونيل شاتري كبير ضبّاط جيش حملة سوريّا في قرار تاريخهُ ١٥ حزيران ١٨٦١ (اطلب ترجمتهُ ص ١٩٦)

ولمّا عادت المياه الى مجاريها ونال لبنان نظامهُ الخاصّ لم ينفكّ ابو سمرا عن خدمة وطنهِ فاتّخذهُ داود باشا اوّل متصرف في لبنان كياورهِ فخدمهُ ثلاث سنوات بامانتهِ ونشاطهِ المألوفين لكنّهُ استقال من الخدمة لمّا اراد المتصرّف ان يرسلهُ لمحاربة يوسف بك كرم وآثر الياور ان يعتزل عن الجنديّة ليعيش في بيتهِ شريف النفس فبقي في خمولهِ الى زمن فرنكو باشا الذي عرف لهُ خدمهُ العديدة في جانب الدولة والوطن وعيّن لهُ راتباً شهريّاً اخذ يتقاضاه الى سنة وفاتهِ في غرّة آذار من السنة ١٨٩٥

هذه طرفة وجيزة من حياة ذلك الجندي الذي لا يزال حتى اليوم معدودًا بين مواطنيهِ كمثال الفروسيّة بل قل كرآة كلّ الفضائل الجنديّة كالثبات والامانة وعلوّ الهمّة والنزاهة متمّماً بالحرف وصاة يوحنّا المعمدان للجند (لوقا ٣ : ١٤) لمّا اتوهُ قائلين: ماذا نصنع لنثمر ثمرًا يليق بالتوبة فقال لهم : لا تظلموا احدًا ولا تفتروا عليهِ واقنعوا بوظائفكم. بل رأى بطانا ذلك قليلًا في جانب الله فانّهُ اراد ان يجمع بين صفات الجندي الشهم والمسيحيّ الكامل كما سترى

٢ المسيحي

انّ بين الجنديّة والحياة المسيحيّة الصادقة شبهاً عظيماً فترى في الانجيل الطاهر واسفار الرسل كثيرًا ما يدعو الربّ وتلاميذهِ المؤمنين الى الكمال المسيحي على صورة التجنُّد فانّ السيد المسيح قد صرّح (متى ١٠ : ٣٤ — ٣٩) بانهُ اتى الى العالم ليعلن الحرب على شهوات الدنيا ويلقي سيفاً لا سلاماً. وقد كان سبق أيوب فقال (٧ : ١) انّ حياة الانسان تجنُّد على الارض. وانّا علّمنا ابنُ الله بمثلهِ كيف نظفر باعداء نفسنا في هذه الحرب الروحيّة باعلان الايمان وغلبة اهواء النفس وحمل الصليب حتى نفوز بالاكليل المعدّ في السماء للظافرين فشدّد عزائم رسلهِ بقولهِ لهم (يوحنّا ١٦ : ٣٣) : ثقوا اني غلبت العالم. وقال القديس بولس لتلميذه تيموطاوس (١ تيم ٦ : ١٢) : « جاهد جهاد الايمان الجميل وفُزْ بالحياة الابديّة التي دُعيتَ اليها ». وقال عن نفسهِ (٢ تيم ٤ : ٧) : قد جاهدتُ الجهاد الجميل واتممتُ شوطي وحفظتُ الايمان وانّا

يبقى اكليل العدل المحفوظ لي الذي يجزيني بهِ الديّان العادل لا أياي فقط بل جميع الذين يحبّون تجليهُ» ومثل هذا قولهُ (٢ تيم ٢ : ٥) : «لا ينال احدٌ الاكليل مالم يجاهد جهادًا شرعيًّا». وكذلك قال صاحب الرؤيا (١ : ٢١) : «من غلب فاني أُوتيهِ ان يجلس معي على عرشي كما غلبتُ انا وجلستُ مع ابي على عرشهِ»

فالجنديّ المسيحيّ اذا ادرك معنى هذه التعاليم وجد في مهنتهِ الطبيعية ما يعدل بنظرهِ الى جنديّة اشرف واعظم اعني الجهاد ضدّ العالم والارواح الشريرة والاهواء الباطلة التي يكسبهُ الفوزُ بها جزاء اعظم واثبت من كلّ مجد بشريّ لانّ غلبة الانسان لنفسهِ وشهواتهِ تفوق على ظفرهِ باعدائهِ المنظورين في ملاحم الحرب المادّية

وكان فارسنا البطل كان قد طبع في قلبهِ هذه القضيّة منذ نعومة اظفارهِ فاحيا بالدين وممارسة الفضائل المسيحيّة عيشتهُ بين معامع القتال وقدّس بها حياتهُ العسكريّة

نعم انّ الاعمال المتواترة التي شغلت ابا سمرا في حياتهِ لم تسمح لهُ بالتعمّق في قضايا معتقدهِ فكان دينهُ عمليًّا اكثر منهُ نظريًّا شأن النفوس الساذجة المطبوعة على الصلاح والتقى فورث من اجدادهِ ايمانًا حيًّا وجرى على فرائضهِ طول حياتهِ دون ان يحيد عنها حتّى في ايّام حروبهِ وتراكم الاشغال عليهِ

فمن ذلك مثابرتهُ على الصلاة صباح مساء. لاسيّما في ايّام الحروب متّكلًا على ربّ الجنود الذي في يدهِ وحدهُ احكام الموت والحياة والخذلان والانتصار. وكانت ثقتهُ هذه بربّهِ والههِ تبلغ الغاية في ساعة الاخطار فتضاعف شهامتهُ فكان اذ ذاك يرسم على جبهتهِ اشارة الصليب ويلتجئ الى ذخيرتهِ المعلّقة على صدرهِ ولا يبالي بالمخاطر حتّى انّ اعداءهُ انفسهم كانوا يقضون العجب من رباطة جأشهِ ويعزون عملهُ الى قوّة علويّة كما فعل في حرب الاكراد لمّا سقطت الراية العثمانيّة من يد حاملها ولم يجسر احد ان يرفعها فاخذها بايعاز عُمَر باشا وقوّى قلوب جنود الدولة. وكذا فعل في حوادث سنة ١٨٦٠ لمّا كاد يسقط في ايدي مطارديهِ لولا انّهُ ظفر بحصانهِ فوق خندق عظيم فنجا منهم (اطلب ترجمتهُ ص ١٥٥ و١٧٤)

وكان لا يستحي من ايمانهِ بل يجاهر بهِ حتى امام الذين كانوا على خلاف دينهِ مهما سبّب لهُ الامر من الاهانة او الاحتقار فلا يهمل ايّام الآحاد والاعياد حضور الذبيحة الالهيّة بكلّ خشوع سواء كان في الوطن او في الغربة وربّما اقترب من

سري التوبة والقربان لا سيَّما في الاعياد الكبيرة

ومن الدلائل على حسن ايمانهِ اكرامهُ الدائم لرؤساء الدين لا يخالفهم في شيء الّا اذا رأى في مشورتهم ما يُلحق بالخير العامّ ضرراً فيعرض لهم وجه الصواب الى ان يقنعهم . فكان غبطة السيد البطريرك يوسف حبيش والاساقفة الاجلاء وعموم الرهبان يعزّونهُ ويفتخرون بهِ ويقبلونهُ في منازلهم او اديرتهم بكل ترحاب ويتحفون بهِ كاحدٍ انصار الدين

وقد سعى اعداء ايمانه غير مرةٍ ان يبذروا في قلبهِ الشكّ او يصرفوهُ عن اتمام واجباتهِ الدينيّة فخاب مسعاهم . وكان اذا احد تكلّم امامهُ بما يمسّ شرف الدين يزجرهُ ويفحمهُ دون خوف . ولمَّا قصد البروتستانت سنة ١٨٨٢ ان يفتحوا في وطنهِ بكاسين مدرسةً ليبثّوا فيها اضاليلهم تصدّى لهم ابو سمرا واحبط مسعاهم . وكان الحّ عليهِ بعض اصحابهِ ان يدخل في الشيعة الماسونيّة ووعدهُ خيراً اذا فعل فاستنكف من دعوتهم مفضِّلاً المنايا على الدنايا وقد اورث بنيهِ بغضة الماسونيّة

وكان هذا روح الدين والتقى ينشرهُ بين رفقتهِ ومواطنيهِ وقبل كلّ في قلوب اولادهِ الذين رزقهم فربَّاهم احسن تربية وصاروا فرحهُ واكليله فدخل ثلاثة منهم في الرهبانيّة منقطعين حتى اليوم الى كلّ اعمال البرّ وخدمة النفوس وحظي الآخرون بالتوفيق والنجاح في اعمالهم مع استمساكهم بعروة الدين الوثقى وقد انتقل غيرهم الى جوار ربّهم بنيّة صالحة ولا تزال قرينتهُ قدوةً لكلّ الامّهات الصالحات

وكما انَّ الدين حمل ابا سمرا على اتمام واجباتهِ نحو خالقهِ كذلك حدا بهِ الى خدمة رؤسائهِ بكلّ إخلاص ونشاط . وقد رُبك ما نالهُ من الحظوى لديهم وكم احرز عندهم من الثقة حتى انَّهم على اختلاف نزعاتهم استعاوهُ مدة نيّف واربعين سنةً في كلّ رتب الجنديَّة

امَّا القريب فكان جندي الرب يتفانى في صوالحهِ الماديَّة والادبيَّة ولا سيَّما مواطنوهُ النصارى الذين ادّى لهم من الخدم الجليلة ما ستردّدهُ السنتهم بالثناء والشكر زمناً طويلاً ولولاهُ لبُخست حقوقهم وذهب منهم كثيرون ضحايا الجور والاستبداد . بل خلّص جملةً منهم من اخطار اعظم كادت تفقدهم دينهم كما فعل يوماً اذ علم انَّ بعض الجنود المصريّة اغووا فتاةً مسيحيّة واختطفوها الى مكان

مجهول فسار ابو سمرا الى الكشف عنها ولم يبرح حتى وجدها وخلّصها من ايدي تلك الذئاب الخاطفة رغماً عن تهديدهم وجعلها في احد الاديرة فردّها الى اهلها بعد ان كفّرت عن ذنبها

وكان بطلنا في حومة الحرب عينها لا يحيد عن تعاليم دينهِ فلا يتجاوز ما تجيزهُ الحقوق الحربيَّة حتى انَّهُ امكنهُ ان يؤكد للبطريرك يوسف حبيش انَّهُ لم يقتل احدًا من اعداء وطنهِ في غير ساحة الوغى · بل كان في مواطن الحرب ذاتها اذا رأى عدوًا يستسلم طالباً الامان يكفّ عنهُ ويمتنع عن مطاردتهِ ·وقد اختبر الدروز غير مرَّة هذه المجاملة وشكروا لهُ علوّ همّتهِ ·فمن ذلك انَّهُ سار في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٤٢ الى عين اوزيه لمقاتلة الدروز فاستحلفهُ الشيخ كنج العماد بألا يحرق القرية فاجاب الى طلبهِ ولم يحرق منها غير بيت منفرد دلّوهُ عليهِ ليُعرَف انَّهُ كفّ عن البلدة بعد اقتدار (ترجمة ص ١٢٥)

وفي هـذه الحرب كاد يفتك يوماً باحد زعماء الدروز الشيخ شبلي العريان في جديدة الشوف وهو لم يعرفهُ فصرخ اليهِ الفارس المجهول : أتُطارد يا ابا سمرا اخاك شبلي ·فوقف ابو سمرا وتصافح البطلان وتمانقا على ظهور الخيل وبقيا مرتبطين بروابط الصداقة بقيَّة الحياة يعترف كلّ منهما للآخر بعزَّة النفس والشهامة (للترجمة ص ١٢٢)

وقد اظفر الله ابا سمراء بكثير من اعدائهِ الـذين الحقوا بهِ الأذى او بعيالهِ ومالهِ لكنَّهُ ابى على الاطلاق ان ينتقم منهم وفقاً لمبادئ دينهِ القويم ·ولَّما قدم وزير الخارجيَّة شكيب افندي لاصلاح امور لبنان جعل ابا سمرا ضابطاً ووكل اليهِ تحصيل الاموال الاميريَّة في قائمقاميَّة الدروز فقام بهذه المهمَّة بعدل ونشاط مجيبين أكياه رضى الحكومة وشكر الاهالي معاً (ترجمة ١٣٩)

فكلّ هـذه الاعمال وغيرها ايضاً لم يسمح لنا ضيق المجال ببسطها تشهد على حسن سريرة صاحب الترجمة وممارستهِ للفضائل الموافقة لجنديّ صادق لم يفصل بين خدمة الله والوطن العزيز

وقـد ظهرت تقوى ابي سمرا غانم بكل مجاليها في سني حياتهِ الاخيرة حيث انقطع بين آلهِ ومواطنيهِ الى العبادة فكان كلّ يوم يحضر الذبيحة الطاهرة ويصرف

زمناً طويلاً مع عائلتهِ في الصلاة وقد حظينا بمشاهدتهِ سنة ١٨٨٠ اذ كنّا نتجوّل في اقليم جزّين فنزلنا في بيتهِ ضيوفاً مكرَمين فأْنِسنا من ذلك الاسد الرئبال حملاً وديعاً لا يكاد يهتمّ بالامور الزائلة. ثم عدنا فرأيناهُ مرّتين اخريين اذ نزل الى بيروت سنة ١٨٨٢ ليحضر سيامة ابنهِ البكر الاب سليمان غانم كاهناً في كليّتنا ثمّ سنة ١٨٨٦ لحضور حفلة نذورهِ الرهبانيّة الاخيرة فهنّأ نفسهُ بان يخلف ولداً يجاهد في سبيل الله كما جاهد هو في سبيل وطنهِ بل يفوقهُ كثيراً بقدر ما تفوق خدمة الله على العالم. فكان جوابنا وقتئذٍ على كلامهِ انهُ كان لابنهِ نعم المثال في خدمة الله كما في خدمة الوطن اذ لم يفرق قطّ دينهُ عن دنياه بل سوف يعيش في ابنهِ ويكتسب اجر تجنُّدهِ للرب كما ستحيي سائرَ اولادهِ فضائلهُ المسيحيّة التي زرعها في قلوبهم

ثمّ قضى ابو سمرا بقيّة أيامهِ في الهدوّ والسكينة يؤهّب نفسهُ لملاقاة ربهِ بطمأنينة فكانت اواخر حياتهِ كغروب شمس ساطعة النور حجبت قرصها عن العيان وضياؤها تصبغ الافق بالالوان الزاهية. وقد بقي صافي الذهن الى ساعتهِ الاخيرة فاقتبل كلَّ اسرار الكنيسة بل التقى وتزوَّد بقوت الملائكة من يد الكاهن الذي كان يقيم كلّ يوم الذبيحة المقدّسة في مخدعهِ ثمّ سألهُ ان يمنحهُ سرّ مسحة المرضى. وكان اهل القرية يترداون الى عيادتهِ فيحدّثهم كأنهُ سليم معافى لا يكترث لقرب الوفاة وسلّماً نفسهُ لامر خالقهِ مردّداً قولهُ: « ما احلى الموت برضى الربّ وطاعتهِ ». وكانت اخر الالفاظ التي تفوَّه بها اسماء يسوع ومريم ويوسف ثمّ طارت نفسهُ الى مقرّ الابرار والكاهن يمنحهُ الحلّة الاخيرة

هكذا مات ابو سمرا بطلاً في ملاقاة الموت كما كان بطلاً في ملاقاة الاعداء. وقد احتفل مواطنوه بمأتمه احتفالاً كبيراً واقاموا له مناحة عظيمة كما يفعل الاهلون في مآتم عظماء رجالهم. وقد كان لنعاهِ رنّة اسى وحزن شديدين في قلوب اللبنانيين فتقاطروا في الوطن وفي اميركا لاقامة الصلوات الحافلة من اجل راحة نفسه ورثاه الشعراء بقصائد بليغة وقد وردت الى عائلته كتب التعازي من الاحبار والرؤساء. وها نحن ندوّن تعريب كتاب التعزية الذي تلطف بارساله الى ارملة الفقيد نيافة الكردينال رمبولا وزير الدولة البابوية اذ ذاك ونجعلهُ مسك الختام لهذه المقالة وهو:

ايتها السيدة

تلقيت بالاسف خبر الخسارة المؤلمة التي اصابتكِ في شخص الشيخ الجليل ابي سمرا غانم فلا شك ان الطائفة المارونية جمعاء قد فُجعت بفقده نظرًا لما تحلّى بهِ من الفضائل وما لهُ من المقدم في جانب الدين ولكن تلك الفضائل وهذه المقدم عينها من شأنها ان تعزيكم مع الرجاء بان هذا جندي المسيح وكنيسته قد نال اكليله في السماء واني لا اتأخر من الاشتراك معكم بالصلاة لراحة نفسه المباركة وفي الختام يحلو لي ان ابلغك البركة الرسولية التي يمنحها الاب الاقدس من صميم القلب لك ولاولادك ليتعزوا بشهامة آثار الفقيد الفاضل الشهير. تكرمي ايتها السيدة بقبول شواعر احتراماتي م. الكردينال رمبولا

ومن احسن ما نظمهُ الشعراء تاريخًا لوفاتهِ قول الاديب اسكندر افندي شيبان عطيه:

لحقَّ ان تحجَّ اليكَ طربًا	بنو الاوطان يا علَمَ المكارمْ
حميتَ الدين والاوطان دومًا	وصنتَ العرض بالبيض الصوارمْ
وشدتَ بكرمًا وقضيتَ برًّا	وذكرك عند اهل الفضل دائمْ
وباسمك يتعلق التاريخ حقًّا	ابو سمراء في الدارين غانمْ ١٨٩٥

الاسطول العثماني

نظرٌ تاريخيٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد الى ثغرنا على اليمن والسعة الاسطول العثماني العامر فزار لاوّل مرّة مرفأ بيروت في اصيل نهار الاثنين الواقع في ١٨ ايلول فحدّث ولا حرج بما احدث منظر تلك البوارج والمدرّعات والنسّافات في قلوب اهل الوطن من السرور والافتخار وقد رأوا رأي العيان ما كانوا يتوقون الى مشاهدتهِ منذ زمن مديد فتحقّقوا ما صارت اليه البحريّة العثمانيّة من التقدّم السريع بهمّة اصحاب الدستور. فلا عجب ان العشرة الأيام التي قضاها الاسطول بازاء بيروت كانت كاعياد متواصلة ومواسم متبادلة فكان ارباب السفن تارةً يخطفون ابصارنا بانوارهم الكهربائيّة الساطعة يرسلونها على انحاء البلد وجهات لبنان وتارةً يزينون جواريهم بالأعلام والسرج اللامعة فتتجلّى كأنها عرائس

الماء تخطر بثوب من النور او تتلألأ في شعلة من النار وحيناً تهتزّ القلوب طرباً لسماع معازفها والحانها او تأخذها المهابة لصوت مدافعها. امّا اهل بيروت فكان احتفاؤهم بالاسطول وترحيبهم لاصحابه شاهداً حيّاً على اعتزازهم بتوأت الوطن واعتبارهم لممثلي الدفاع عن ثغوره. فتوالت الاحتفالات وتواصلت الدعوات وتعدّدت المآدب والمظاهرات الوديّة ما اتسعت في وصفه الجرائد المحليّة واغنتنا عن الاسهاب في ذكره حتى بارحتنا العمارة في ضحى اليوم ٢٨ من الشهر ولم يبرح ذكرها من قلوب الاهلين الذين رافقوها بالادعية في مجراها ومرساها

*

وقد خطر على بالنا ان ننتهز هذه الفرصة لنكتب فصلاً في الاسطول العثماني فنروي ما يحضرنا من تاريخه الماضي واحواله الحاضرة مستندين كمألوف عادتنا الى اوثق المصادر واصدق الرواة

لمّا اشتدّ ساعد بني عثمان واخذت دولتهم تتقدّم ظافرةً الى نواحي بوزنطية وسواحل اوربا الشرقيّة وشواطئ آسية الغربيّة احسّت بحاجتها الى السفن لتصون املاكها من الاعداء. وتوسع نطاق فتوحاتها في البحر الابيض اي المتوسط والبحر الاسود اي بحر بنطس. فسعى خلفاء السلطان عثمان الغازي بانشاء عمارة لهذه الغاية. ويخبر التاريخ انّ بايزيد الاوّل وجّه في اواخر القرن الرابع عشر عمارةً تتألف من ستين سفينة فغزت ساقس وبعض جزائر اليونان ثم عادت بالغنائم

الّا انّ حاجة الدولة التركيّة الى اسطول عظيم اضحت امسّ والزم بعد ان فتح محمّد الثاني الغازي مدينة القسطنطينيّة فعرف انّهُ لا يستطيع ان يطمئنّ بالاً ويرتاح فكراً ما لم تقم في وجه اعدائه المراكب البحريّة المجهّزة بكلّ ادوات الحرب وكان اختبر بنفسه هذه الحاجة لمّا حاصر القسطنطينيّة ولولا سفن حربيّة نقلها بالبرّ من بشك تاش الى قرن الذهب لمّا تمّ لهُ الفتح

فلتحقيق امنيّته امر بتعمير سُفُن عديدة كانت تُعرف في تلك الأيّام بالاغربة والشواني والبطس واستدعى لتدبيرها قوماً من الجنويين كانوا يسكنون غلطة فأستأجرهم لخدمة الدولة. فكانت هذه السفن تحمل مرّة بعد اخرى على جزائر البحر فتعود ظافرةً

ولم تزل البحريّة العثمانيّة في ترقٍّ متواصل حتى بلغت في القرن السادس عشر اوج عزّها ففتح سليمان الثاني الغازي المعروف بالقانوني جزيرة رودس واستولى على جزائر البندقيّة وتملّك ابنهُ السلطان سليم الثاني جزيرة قبرس ثم كانت وقتئذٍ سفن الدولة التركيّة تنيف على الثلاثمائة عدًّا ولعلها كانت دوّخت السواحل الاوربيّة كلّها لولا اتّفاق اسبانية وجنوة والبندقيّة فانتصرت عمارتهم في ليبانتي على الاسطول العثماني وحطّموا مائتي سفينة من سفنه واغرقوا ثلاثين الفًا من بحّارته

الّا انّ العثمانيين لم يفشلوا البتة بل تسارعوا الى تجديد اسطولهم بسرعة غريبة واستأنفوا الحملة على مستعمرات البندقيّة والجأوهم الى تأدية الجزية فامكن امير العثمانيين سوكولي ان يقول لوفد البنادقة: «انكم في واقعة ليبانتي قطعتم لحيتنا وها هي تنبت امّا نحن فقطعنا لكم احدى ذراعيكم بفتح قبرس والذراع لا تنبت»

وبقيت الرئاسة البحريّة لآل عثمان حتى اواخر القرن السابع عشر فانّ السلطان ابراهيم الاوّل الغازي ارسل لفتح كريت سنة ١٦٤٤ بعثةً تشمل سفنها على ٤٠٠ مركب شراعي ولم تزل تضايقها سنين طويلة حتى تمّ فتحها في عهد محمد الرابع سنة ١٦٦٩ على يد الوزير احمد كبرلي

وكانت الدولة العليّة قسمت عمارتها الى ثلاثة اساطيل كان اعظمها عددًا وقوةً على نهر الطونة. والثاني في بحر بنطس. والثالث في البحر المتوسّط وكانت سفنها على هيئات واحجام شتى منها شراعيّة ومنها ما يسير بالتجذيف وكانوا يتّخذون لصنع سفنهم بُناة من اهل سواحل البلغار واليونان والشام وكان للدولة مصنع شهير في بيروت خرجت منهُ عدّة مراكب حربيّة

ثمّ اخذت روسيّة في القرن الثامن عشر تضايق الدولة العثمانيّة برًّا وبحرًا وانتهزت لذلك فرصة الانقسامات التي رأتها في الدولة فضعفت بسببها تركيًا وسهت عن اسطولها بينما كان المسكوب يضاعفون الغيرة لتحسين بحريّتهم. فلمّا كانت سنة ١٧٧٠ نازل الاميرال الروسيّ اورلوف مع احد امراء الانكليز الاسطولَ التركي في جسمه في برّ الاناضول جنوبيّ غربي ازمير فكان انتصارهما عليه ضربةً لازبة اذ خسرت تركيًا ٢١ مركبًا كبيرًا و٥٠ صغيرًا ولم تهتمّ في التعويض عنها الّا اهتمامًا ضعيفًا لما كانت عليهِ الماليّة العثمانيّة من التقهقر. فلمّا انتشبت الحرب بين الدولة

واليونان في القرن التاسع عشر وجد اليونان الاسطول العثماني على غير أُهبة للقتال فكرّروا على سفنهِ والسفن المصريّة الحملات حتى كادوا يلاشوها خصوصاً في ناڤارين سنة ١٨٢٧ حيث آزرت الدول الاوربيّة دولة اليونان ثم منحوها الاستقلال التام. وكان عبدالله باشا وخسرو باشا وغيرهما من الامراء حاولوا ان يصلحوا العمارة التركيّة ويجعلوها بمثابة العمارات الدوليّة الّا انهم لم يلقوا اذناً صاغية

ولم تتحسّن حالة الاسطول العثماني الّا قليلاً في عهد السلطانين عبد المجيد وعبد العزيز وبلغت اسوأ حال في ايام عبد الحميد. قيل انّ هذا السلطان الخليع كان ناقماً على بحريّة دولته لانّهُ كان يذكر ان ضباطها شاركوا اصحاب الثورة التي قلبت عبد العزيز سلفهُ فكان يخاف ان يفعلوا بهِ فعلهم بسلفه فلم يتدارك خللها طول عهدهِ. وبقي الاسطول راسياً في قرن الذهب لم يخرج منهُ الّا ليستقبل غليوم الثاني عند زيارتهِ للسلطان سنة ١٨٩٨ ثم ليشيّعهُ عند رجوعهِ. وممّا يُخبر ان سفن الاسطول لم تَعُد تصلح الّا لتُلقى بين العاديّات للهدم وكان اميرها حسن باشا حاظياً لدى مولاه لموافقتهِ على خمول البحريّة وسقوطها. وكانت المراجل ومعظم اجهزة الاسطول لا تقوم بوظائفها وقد رأينا في بيروت النسّافة التي انفجرت يوم رامت الخروج من المرفأ فاودت بحياة كثيرين

وبقيت الامور على هذه الحالة الى السنة ١٨٩٧ فحدثت حرب تسالية فابحر الكولونل ڤاسوس الى كريت وانزل جنودهُ اليها دون ان يبدي الاسطول العثماني حراكاً. فقام الرأي العام لهذا النبأ وانعد وتصاعدت جلبة الجرائد معيّرة للبحريّة فخاف عبد الحميد من ثورة في العاصمة وامر بان تذهب العمارة الى كريت فخرجت في ١٨ من شهر آذار وفي ٢٠ منهُ وهي تتألف من ١١ بارجة واربع مدرّعات ونحو ٤٠ نسّافة او معاكسة للنسّافات او مراكب شحن الّا انّ هذه السُّفن ما كادت تبلغ جون بزيكا حتى رأت انها لا تستطيع ان تنتضي حركة هجومية او دفاعيّة لنقص ذخائرها وعتق ادواتها وقلّة تدريب جنودها فاسرعت الى الرجوع الى الدردنيل (١

---

١) اطلب كتاب كولمار فون در غولتس في حرب تساليّة (K. Fr. von der Golz: Der Thessalische Krieg u. d. Turkische Armee)

وكان للدولة اسطول آخر يدعونهُ بالاحتياطي الّا انهُ لم يتحرك مطلقاً من مقامهِ في بحر الدردنيل وكانت قطعهُ كلها بالية

فلما صار الانقلاب العثماني الاخير وفاز الدستور حتى ادرك أولو الامر انَّ تركيا تحتاج الى تقوية جيشها برًّا وبحرًا امَّا جيش البرّ فيعلم الكلّ ما نالهُ من التحسينات المهمّة منذ ثلاث سنوات وليس فكرنا ان نصف هنا رقيَّهُ فيترتَّب علينا ان نذكر فقط ما ينوط بشأن الاسطول ونبيّن ما صار اليهِ بعد سقوطهِ الى الحالة التي رأيناها عليها بهمّة ارباب الامر فنقول:

انَّ فنّ الحرب البحريّة في عهدنا يتوقَّف خصوصاً على قوَّة السُّفن الحربيَّة وسرعتها وافضل تلك السُّفن المدرَّعات (cuirassés) وهي على هيئات مختلفة بينها الشكل المستحدث المعروف بدريدنوت كلها مصفحة بالفولاذ وتُسلَّح بمدافع ذات عيارات شتى يبلغ بعضها ٣٠٠ ملّيمتر بنيّف ومحمولها ٢٠,٠٠٠ طنّ. وبعضها يعزّز بالابراج. ومنها الطرّادات او القواطع (croiseurs) وهي اخفّ سرعةً من المدرَّعات. امَّا تجهيزها بالمدافع ومحمولها فلا يكادان يختلفان عن تجهيز الدوارع ومحمولها وهي مصفَّحة مثلها. ومن هذه الطرّادات ما يُتَّخذ خاصَّة لمراقبة العدو والكشف (avisos). ومنها البوارج (corvettes) ومنها الدفعيّات (canon-nières) لرمي القنابل خاصَّة. ومنها النسّافات (torpilleurs) لرمي الطوربيل وهي القذائف المتفجرة في الماء تحت السُّفن فتدمرها. أُنشئت لمكافحتها المضادة للنسّافات (contre-torpilleurs). ومنها الغوّاصات المعروفة (sous-marins). فكلّ هذه السفن الحربيَّة تترقَّى يوماً بعد آخر وتتشكَّل اشكالًا متعدّدة (١ وهي تُعَدّ بلا فائدة ولا جدوى اذا زاد عمرها على عشرين سنةً كأنها بلغت هرمها وفقدت قوّتها فلا تعود تصلح لحرب

كان الاسطول العثماني وقت اعلان الدستور يتألف من ٥٨ قطعة ٧ مدرَّعات و٤ بوارج و٤ طرَّادات و١٥ نسَّافة و٢٥ معاكسة للنسّافات وبعض سفن نقّالة لكنَّ هذا الاسطول مع كثرة عدد سفنهِ كان مهلًا لا يستطيع معظمهُ مباشرة

١) راجع مقالةً حسنةً في ترقي فنّ الحرب البحريَّة لحضرة الاب ه. لامنس كتبها في السنة الاولى للمشرق (ص ٥٢٩–٥٣٦) وزينها بتصاوير

حرب. فانّ الاربع المدرّعات اورخانية وعثمانيّة ومحموديّة وعزيزيّة كانت عتيقة أنشئت سنة ١٨٦٤ ثمّ رُمّمت سنة ١٨٩٥ لكنّ ترميمها لم يُفدها افادة عظيمة وبقي تجهيزها ناقصاً مخلّاً حتى انّ لائحة السفن الدوليّة (Taschenbuch) اهملت ذكرها في السنة ١٩١٠ . وكذلك الثلاث الباقية وهي آثارى توفيق ومسعوديّة وحميديّة بطيئة السير مخلّة التسليح والجهاز الحربي عتيقة البناء. فآثارى توفيق قد خُصّت اليوم بتعليم المتجنّدين حديثاً. ومسعودية وحميدية لا تقومان في وجه عدوّ لضعفهما

امّا البوارج الاربع: فتحي بولند وعون الله ومعينيّ ظافر ومقدمي خير فتاريخ انشائها سنة ١٨٦٧ و١٨٦٩ ثمّ اصلحت سنة ١٩٠٤ في جنوة والمانية غير انّ اصلاحها لم يتلافَ كثيراً من نواقصها اذ انّ محمولها من ٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠ طنّ فقط وسرعتها لا تزيد عن ١٢ عقدة في الساعة وتصفيحها بالحديد العاديّ دون الفولاذ وقد تأسّف بعض المخلصين الودّ للدولة العثمانيّة على ما صرفته جزافاً في هذا الاصلاح بدلًا من اتّخاذ بارجة متوسّطة من الطرز الجديد تفيدها اكثر من البوارج المصلحة

امّا النسّافات والماكسة للنسّافات فكانت احسن حالًا يمكنها اذا تولّى تدبيرها رؤساء وجندٌ حاذقون ان تأتي بأعمال حربيّة مرضية. وكذلك كان لتركيا طرّادان صغيران حسنان اسمهما مجيديّة وعبد الحميد أُنزلا الى البحر في سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣ فهما حديثا العهد لكنّ محمولهما ضعيف وتصفيحهما لا يقيهما من قذائف العدوّ

وبالاجمال لم يخلّف عبد الحميد للحكم الدستوري بحريّة منظّمة شديدة فكان من الواجب على اهل الانقلاب العثمانيّ ان يستدركوا الامر بكل سرعة والحقّ يقال انّ الدستوريين لم يدّخروا وسعاً في سدّ هذه الثلمة فما كادوا يقبضون على زمام التدبير حتى عقدوا جماعةً لاصلاح البحريّة وتجديد الاسطول. وزاد اهتمامهم لمّا رأوا انّ اليونان اصلحوا اسطولهم وجدّدوا دارعتهم پسارا وانهم اضافوا الى دوارعهم طرّاداً كبيراً تساوي قيمته ثلاثين مليوناً من الفرنكات اوصوا به في ليڤورنة عند اورلندو محمولة ١,٢٠٠ طنّ وسرعتهُ ٢٤ عقدة فللحال خصّص

المجلس العثماني ١١٥ مليوناً لتعزيز الاسطول فكان اوّل ما استحضرته الدولة دارعتين للالمانيّين « براندنبرج وكورفرست فردريك وليام » طولها ١٠٨ امتار وعرضها ١٩,٥ مترًا وقوّتها ١٠,٠٥٠ احصان بخاري أُنشئتا سنة ١٨٩٦ ثم جُهزتا تجهيزاً حديثاً سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٥ وهما مصفّحتان بصفائح من الحديد المذوب ومزيج الفولاذ والنيكل سمكها بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ مليمتر فابتاعتها الدولة العثمانيّة من حليفتها بثمن ١٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك ودعتها طورغود وخير الدين بربروس (انظر صورتها) وهما اللتان حضرتا مؤخرًا الى بيروت. ثم امرت محل انسالدو في جنوة في ابتناء طرّاد من جنس طرّادها « عبد الحميد » وطلبت من مصنع الماني اربع نسّافات وابتاعت من انكلترة اربع سفن معاكسة للنسّافات

وقد رأى الاختصاصيّون انّ هذه السفن الحربيّة كافية للقيام في وجه اليونان والدفاع عن سواحل البلاد الّا انّ وزارة البحريّة لم ترضَ بالدفاع فقط بل فكّرت ايضاً في الهجوم ففي اوائل الصيف من السنة المنصرمة ١٩١٠ امرت الدولة بانشاء دارعتين كبيرتين محمولها ١٥,٠٠٠ طنّ وسرعتها ٢١ عقدة مع ٢٦ مدفعاً بينها ستّة مدافع فوهتها ٣٠٥ مليمترات وستّة ١٥٠ مليمترًا واربع عشرة ١٠٠ مم تُصنعان في انكلترة عند فكرس ومكسيم ثم عند ارمسترنغ وستدعى احدى الدارعتين باسم عبد القادر ثم طلبوا ايضاً انشاء طرّاد محموله ١٠,٠٠٠ طنّ وسرعته ٢٩ عقدة مع ستة مدافع فوهتها ٢٣٦ مليمترًا

وممّا اشار اليه الكومندان دي بالنكور (١ في كتابه عن الاساطيل الحربيّة الدوليّة لسنة ١٩١٠ انهُ شاع انّ تركيّا اتّفقت على انشاء اسطول عظيم من شأنهِ ان يجعلها في جملة الدول البحريّة الكبرى فاتخذت لها داري صناعة في الارخبيل وبحر مرمرا وعوّلت على ان تنشئ لها في مدة تتراوح بين ٨ الى ١٠ سنين ستّ مدرّعات او طرّادات مصفّحة و٢٤ مدفعيّة او سفن محافظة على امن السواحل ثم ٢٠ معاكسة للنسّافات و١٢ نسّافة مع ٦ غواصات وحاملتين للّغوم (porte-mines) فاذا تمّ هذا المقصود اصبح الاسطول العثماني من جملة الدول البحريّة الثانويّة واذا انضمّ الى دولة اخرى رجّح انتصارها

(١ اطلب Commandant de Balincourt: Les Flottes de Combat

وممّا يُضاف الى هذه السفن ١٣ نسّافة تقدّمت الدولة باعدادها اثنتان منها من شكل الطرّادات

وخلاصة القول انّ مجموع الاسطول العثماني الجديد ٤٢ سفينة حربيّة مجهّزة للقتال يبلغ محمولها ٥٦,٧٨٩ طنّاً وقوّتها ١٢٢,٢٢٠ حصاناً بخاريّاً ومدافعها ٣١٨ مع ٧٧ اسطواناً لقذف الطوربيل. ومجمل البحّارة الذين على هذه المراكب نحو ستة آلاف جنديّ. امّا السفن التي في المصانع ويُنتظر تجهيزها بعد مدّة فمجموعها ١٩ يكون محمولها ٢٨,٢٤٣ طنّاً ومدافعها السريعة الاطلاق ٢١٨

هذا الى عدّة مراكب لشحن الذخائر ونقل الجند ومراقبة السواحل بعضها بقلّاع وبعضها بدواليب بالغ عددها نحو السبعين. فترى انّ للدولة العليّة حقّاً ان تجعل الآمال الطيّبة على اسطولها وانّ ما صنعته منذ اعلان الدستور يوجب لها الشكر من قبل رعاياها وهم يتمنّون ان يكون النصر حليف عمارتها وجيوشها البريّة معاً وذلك ما بعث فيهم الحميّة حتى رفعوا بسخاء المبالغ الطائلة لخدمة الاسطول وقد بلغ الحبّ الوطني في قلب بعض اهل ازمير الى ان يجهزوا سفينة حربيّة باسمهم يهدونها الدولة وامكن احدى جرائد الاستانة ان تجمع ١٣٠,٠٠٠ ليرة بالاكتتابات الخفيفة. اكثر الله عدد المحسنين وجازاهم خيراً لتفانيهم في سبيل الوطن العزيز. وعسانا نردّد قريباً في مدح اسطولنا ما كتبه الشاعر المفلق معروف افندي الرصافي في وصف الاسطول الياباني حيث قال من قصيدة عامرة الابيات:

تجدها بوارجاً ملأ البحر وقاراً طوراً وطوراً بؤوسا
كلُّ خرّارة اذا حرّكت دولابها تمخّضت به القاموسا
مذ بنوها لهم كتيبة حرب تخذت كلَّ مدفع ناقوسا
ألبسوها من الحديد وشاحاً فتبادت على العباب عروسا
واذا تنشر البنود بنود النصر فيها تخالها الطاووسا
واذا جنّها على البحر ليل اطلع الكهرباء فيها شموسا
قد ابى بأسها الشديد سوى الفولاذ درعاً لجسمها ولبوسا
سيّروا البرق بينهنّ رسولاً صادقاً ليس يعرف التدليسا
فهو فيها لسان صدق يؤدّي دون سلك كلامها المأنوسا
جهّزوها مدافعاً فغرت افواه نار قد ألقمتهنّ الشوسا

دلعتْ السنا من النار حمرًا ويلُ من قد غدا بها ملحوسا
ترسل الموت من قنابلها كالشهب ذريعًا مستأصلًا عتريسا
طالما بانفجارها اقلق البحر اقلاقًا مذكرًا عهد موسى

او نكرّر بافتخار قول الشاعر المصري الكبير حافظ افندي ابراهيم في الاسطول العثماني:

حيِّ يا مشرقُ أسطولَ الأولى ضربوا الدهر بسَوْط فاستقاما
ملكوا البرّ فلمّا لم يسعْ بجدّهم نالوا من البحر المَراما
بجَوار مُنشآت كالدُّمى اينما سارتْ صبا البحرُ وهاما
كأنما اوفت على امواجه سجَدَ الموجُ خشوعًا واحتشاما
كان بالبحر اليها ظمأٌ وعجيبٌ يشتكي البحر الأواما
فهي في السِّلم جوارٍ تُجتلى تبهرُ العينَ رواء ونظاما
وهي في الحرب فضاء سابحٌ يدعُ الحصن تلالًا ورجاما
وهي بركان اذا ما هاجها مانع الشرّ عداء وخصاما
فاتقوا الطَّود مكينًا راسيًا واتقوا الطود اذا ما الطودُ عاما
حملت حربًا فكانت حقبةٌ نُذُرًا للموت يجتاح الاناما
خافها العالم حتى اصبحت رسلًا تحمل أمنًا وسلاما

كنائس

النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي

نقلًا عن تاريخ دمشق لابن عساكر

راجعنا في اواسط الشهر المنصرم في مكتبة الملك الظاهر القسم الاوّل من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر فنقلنا عنهُ في ظهر الصفحة ١٧٣ (١٧٢) أصلًا كتبهُ في كنائس دمشق التي ابقاها المسلمون للنصارى بعد الفتح على يد خالد وابي عبيدة سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ م) وها نحن نورده لافادته التاريخية مع الضرب عن بعض حلقات اسانيده واشرنا الى بعض الفاظ نسيها الكاتب او وجب اصلاحها لانّ في هذه النسخة الخطيّة عدّة اغلاط ل . ش

﴿ ذكر عدد كنائس اهل الذمّة التي صالحوا عليها من سلف من هذه الملّة ﴾

اخبرنا ابو محمّد هبة الله بن الاكفاني (١ . . . . عن رجا بن ابي سلمة قال: انّ عمر بن

١) اطلب ترجمتهُ في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (éd. Amedroz, p. 227)

عبد العزيز قال: انهُ كان في عهد دمشق خمس عشرة كنيسة. (قال): حدثني ابو مسهر قال: اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنى (١بطريقاً فاقرُّوا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم بمنزله كنيسةٌ فاقاموا بها حيناً ثمَّ بدا لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فأقطعها قوم من اشراف دمشق منهم بجدل (بحدل) وابن مدبح (كذا) العذري (173') وغيرهما فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز اخرج اولادهم منها وردَّها على الاعاجم فلمَّا مات عمر رُدَّت الى اولاد الذين اقطعوها

(قال) واخبرني... عن رجا بن ابي سلمة قال: خاصم النصارى حسَّانَ بن مالك الكلبي الى عمر بن عبد العزيز في كنيسة دمشق فقال لهُ عمر: ان كانت من الخمسة عشر (كذا) كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك اليها. قال ابن المعلى... عن ابن ابي حَمَلة قال: خاصمت العرب في كنيسةٍ بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر (نصر) كان معاوية اقطعهم أياها فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلمَّا ولي يزيد ردَّها الى بني نصر (٢

قال ابن المعلى: وقرأت كتاب سجل بن يحيى (٣ بن حمزة لتينك (كذا) نصارى قصَّة دمشق انهُ ذكروا لهُ انهُ سحر (كذا) بينهم وبين رئيسهم في دينهم وجماعتهم من اهل القرى وعتاقة العرب والعرب اختلاف وفرقة وانهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء بهم بما في عهدهم وكتابه الذي كتبهُ لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فدعوتهم بحجَّتهم فاتواني (فاتوني) بكتاب خالد بن الوليد لهم فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاهم اماناً لانفسهم ولاموالهم وكنائسهم لا تهدمُ ولا تسكنُهُ لهم على ذلك ذمَّة الله وذمة الرسول (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين الَّا يعرض لهم احد الَّا بخير اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد هذا الكتاب يوم كُتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن جرَّاح ومعمر بن غياث وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن

١) كذا. ولعلَّهُ اراد: اثنا عشر

٢) اطلب فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٢٣)

٣) كذا. ونظنُّ الصواب كما جاء في البلاذري: كتاب ابي مسهر عن يحيى...

الحرث وقضاعي بن عامر. وكتب في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة *. فقرأت كتابهم فوجدتهُ خاصة لهم وعصتُ (وفحصتُ) عن امرهم فوجدت فتحها بعد حصار ووجدت ما وراء حيطانها لرفعة الجبل ومن كثرة الرماح ونظرت في خزقهم (حرمتهم؟) وظنيّة عليهم خاصة دون غيرهم فقضيتُ لهم بكنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهد وابناء البلد بشكا (كذا) بلدا؟ ووجدتُ من نزاعهم لنيفاً طرقاً عليهم وذلك لو انهم اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفُها مساجد ومساكن فلهم في آخر الدهر ما في اوّلهِ وقضيتُ لمن نازعهم بما كان لهم منها من خليّة او ابنية او كنيسة: او كسوة او بناء او عرصة اضافوا ذلك اليا يُدفع ذلك اليهم باعيانهِ ان قُدر عليهِ او قيمة عدل يوم ينظر فيه شهدهُ (شهودهُ؟)

عدد كنائس النصارى التي دخلت في صلحهم بدمشق خمسة عشر (كذا) كنيسة في قبلة المدينة كنيسة اليعقوص (كذا) وكنيسة بحضرة (كذا) وكنيسة القسلاط وكنيسة بحضرة زين بن ابي حكيم وكنيسة بحضرة سوق الفاكهة وكنيسة بحضرة بني جلاح (كذا) وكنيسة مريم وكنيسة اليهود. وفي شام (شمال) المدينة كنيسة القلانس وكنيسة بوحا (يوحا او يوحنا) التي بنيت مسجداً وكنيسة حميد ابن درّة وكنيسة بحضرة دارا بن زرناق وكنيسة المصلّبة

ومماً وجدت كنيسة بناها ابو جعفر المنصور لبني قطيطاني الفوريق (كذا). ومماً وجدت ايضاً كنيسة العباد. اماّ كنيسة العيقوص (كذا) فهي التي كانت خلف الحبس الجديد يدخل اليها من الاكافين (؟) التي هي اليوم من سوق على الدرب الذي فيه اقين حمام الاكافين ومن درب السوسي قد بقي من بنائها بعضهُ وقد خربت منذ دهراً (كذا). واماّ كنيسة القسلاط فخربت ايضاً وقد كان بقي من قناطرها وعمدها بعضها فنُقلت احجارها فأُدخلت في العمارات واماّ التي عند زين بن حكيم فهي التي في رأس درب القرشي وهي صغيرة بعضها (173*) باقي الى اليوم وقد تشعّث. واماّ التي بسوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت. واماّ التي بحضرة دار بني جلاح فهي التي كانت في درب بني قضرس (كذا) درب الحبّالين ودرب التيمي وادركتُ من بنائها بقايا خربت اكثرها. واماّ كنيسة مريم فمرونة باقية واكبر ما بقي من الكنائس. وكنيسة اليهود عند الحجر باقية وقد كانت

لهم كنيسة اخرى في درب البلاعة لا ذكر لها في كتاب الصلح جُعلت مسجداً. واما كنيسة مريض (١ فكانت غربيّ القيساريّة النحريّة (كذا) خربت وادركتُ من بنائها بعض الاساس الحسنة. واما كنيسة وحا (يوحا) فهي الجامع. واماّ كنيسة (٢ فكانت في موضع دار الوكالة فخربت واما كنيسة وحا (يوحا) فهي الجامع المعمور اليوم بقي لهم بصفة كنيسة الى ان اخذها الوليد بن عبد الملك كما تقدَّم. واماّ كنيسة حميد (بن) درّة فهي باقية الى اليوم وقد اخربت اكثرها في درب حميد وحميد هو بن عمرو بن مساحق القرشي العامري وامّهُ درّة بن (كذا) ابي هاشم ثم خال معاوية بن ابي سفيان وهو ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة كان الدرب اقطاعنا له اقطاعاً له فنُسبت الكنيسة اليه وهو مسلم. واما الكنيسة التي عند دار ابن ذرناق فهي المعروفة اليوم بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين وجة خالد ابن اسيد بن ابي العاص وبين طلحة بن عمرو بن مرّ الجهني واماّ الكنيسة المصلّبة فهي باقية لهم الى اليوم بين باب الشرقي وباب توما قرب القنطس (كذا) عند السور وقد خربت اكثرها وبعد ذلك هُدمت بعد الثمانين. واماّ الذي كانت أحدثت في الفرديق فهي التي جعلت مسجداً عند درب ويسمّي اليوم مسجد الجنيق. واماّ كنيستا العُباد فهما الاثنان احداهما عند دار ابو (كذا) الماشلي وقد جُعلت مسجداً والاخرى التي في راس درب النقاشين قد جُعلت مسجداً

(المشرق) فمن هذه الكنائس الخمس عشرة التي عدَّدها ابن عساكر لم تُعرف اليوم غير كنيسة يوحا وهي كنيسة مار يوحنّا التي اتّخذها الوليد بن يزيد كالجامع الكبير المعروف اليوم بالجامع الامويّ. وغير كنيسة مريم او الكنيسة المريمية قيل ان عمر بن عبد العزيز اعطاها النصارى تعويضاً عن كنيسة مار يوحنّا فاتقنوا بناءها وعادوا فعمّروها مرّة اولى بعد خرابها سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠ م) ثمّ مرّة ثانية بعد ان اخربها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ ثم ثالثةً بعد حرقها سنة ١٨٦٠ وهي كنيسة الروم الارثذكس حالياً. امّا بقيّة الكنائس فلم يبقَ منها اثر في عهدنا إلّا ان الكتبة كالطبريّ وابن القلانسيّ والبلاذري ذكروا كنيسة توما وكنيسة المقلاط وكنيسة اليعاقبة وغيرها ممّا باد ذكرهُ

---

١) والمدة العريض كما ورد في البلاذري (ص ١٢٢) واستشهد ببيت لوطة الجرّمي

٢) هنا بياض في الاصل

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في اليمن (تتمّة)

ولنا حتى اليوم دليل جليّ على تأثير نصرانيّة الحبشة في العرب ألا وهو ما دخل في اللغة العربيّة من الالفاظ الدينيّة الحبشيّة بعضها حبشيّ الاصل كالمِنبر والمُصحَف والحواريّ والشافتي والفاطر (اي الخالق) والجبت (اي الصنم) والشيطان والزّار وبعضها يوناني او سريانيّ وعبراني لكنّهُ دخل في العربيّة بواسطة الحبش كما تدلّ عليهِ صورتهُ الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية. وللعلّامة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في هذه الالفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسنَد وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم ظاهر. نقلوهُ الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحميريّة الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧١) عند وصفهِ كنيسة القليس ان ابرهة كان كتب على بابها بالمُسنَد: "بنيتُ هذا لك (اللهم) من مالك ليُذكَر فيهِ اسمك وانا عبدك "

وفي مدّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قوما الرحّالة (Cosmas Indicopleustes) نحو السنة ٥٣٥ فعدَّد ما وجدهُ من الكنائس في طريقهِ وانتشار النصرانيّة في اواسط الشرق واقاصيهِ وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربيّة السعيدة الذين يُدعَون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً وبين النبط وبني جرم... "

---

١) اطلب Th. Noeldeke: *Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft*

٢) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, P. G., t. LXXX, col. 169)

وان سأل السائل اكانت النصرانيّة في اليمن مستقيمة خالية من البدع. الجواب انّهُ من المرجَّح انّ دينهم كان في اوّل الامر خالصاً من كلّ شائبة وكاثوليكيّاً محضاً لانّ الامبراطور يستينوس وخلفهُ يستيانوس لحسن ديانتهما ما كانا ليسمحا للحبش ان ينشرا في بلاد العرب غير الايمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعة الاولى. يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة أليصبان الذي كان مالكاً في وقت فتح الحبشة لليمن ثمّ جلوس جرجنسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو قديس تكرمهُ الكنيسة لقداستهِ. ولكن يظهر ايضاً انّ بدعة اوطيخا سرت الى جهات اليمن وكدّرت صفاء ايمانهم فانّ الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدّ ان اضاليلهم انعكس صداها بين العرب. والمؤرخون اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنّا الآسيوي (١ وكما نقلهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على انّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الاجانب عليهم لاسيّما بعد موت ابرهة وتملُّك ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير فتشدّدا على الوطنيين واساءا اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان في مقدّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشاً ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذناً صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صعاليك دولتهِ تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنّ ملكهُ لم يدم زمناً طويلاً اذ فتك بهِ بعض الحبشة. ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا اليهِ عمّالًا يحكمون عليهِ باسمهم كان اولهم وهرز ثمّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في ايدي المسلمين

امّا النصرانية فانّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها الى ظهور الاسلام. ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها فانهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصرانيّ لو دان هو باليهوديّة كذي نوّاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميّة بن ابي الصلت بقصيدتهِ الشهيرة التي اوّلها:

لا يطلبُ الثار الّا كابن ذي يزنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسماني (Assemani; BO, II, 381-386)

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهوديَّة سيف. ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن انهُ يتعصّب لليهوديَّة لما مكّنوه من الملك

وعلى ظنّنا انَّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن لينشروا هناك بدعتهم ولأنَّهم كانوا سبقوا الى بثّها قبل ذلك فعزَّزوها. وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في اليمن ومقاومتهم لليعاقبة. وفي كتاب الاغاني (١٠: ١٤٨) انَّ عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم الى المباهلة وكان رئيساً على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأُعطي الامان هو وقومهُ

واخذ النصارى مذ ذاك الحين يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولا سيَّما بعد ان امر عمر باخراجهم من الجزيرة استناداً الى حديث يعزونهُ الى محمَّد هذا منطوقهُ: «لأُخرجنَّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الّا مسلماً». والظاهر انَّ هذا لم يتمّ بالحرف فانَّ لدينا عدَّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في ايام الخلفاء. فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموثاوس الكبير بطريرك النساطرة انهُ سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في اواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبره بعجائبها

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اوردينو دي سينالتوس (Ordeno de Cenultos) انهُ في رحلتهِ الى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة احتفت بهِ واكدّت لهُ انَّ اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن. وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انَّهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثاراً مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن

١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري (Barhebræus : *Chron. Eccl.*, II, p. 116)
٢) اطلب مكتبة السمعاني (BO. IV, 609)

اذا قويت شوكتهم طمحوا اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم. ألا انَّ اخبار تلك الجهات نادرةٌ جدًّا لا يُعرف ألا القليل من امورها السياسيَّة والادبيَّة والدينيَّة

﴿ حضرموت ﴾ ومنها بلاد مَهرة ما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخهِ (١ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايام الحبشة فلمّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضاً حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن عنوةً بسكوتهِ الى انها دخلت في حكم الحبش. فلا بُدَّ اذن من ان يُقال انَّ النصرانيَّة دخلت ايضاً في حضرموت مع اولئك الفاتحين

وزد عليهِ انَّ قسماً كبيرًا من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انَّ النصرانيَّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثمَّ انهُ كان لحضرموت عدَّة مدن ساحليَّة ذكرها بطليموس الجغرافيّ (٣ كانت تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم. وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمن مديد. قال قزما الرحالة (Cosmas, P. G., T. 88, col. 169): « وفي جزيرة تابروبانا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي (مليار) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا اسقف يُسام في العجم ويُرسل اليها. وفي جزيرة ديوسقريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يرسمون في العجم وهناك جمٌّ غفير من النصارى »

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ من مخطوطات مكتبة باريس (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى:

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر (٣: ٢٥٢) ٢) فيهِ (٣: ٢٥٢)

٣) اطلب جغرافيَّتهُ طبعة ديدو (ص) ثم كتاب گلازر (Ed. Glaser: Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens)

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها الصبر السقطري... وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب القُمْر من مهرة وهم معروفون. (قال) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انَّ قوماً من بلاد الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت اليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. (قال) وقد يقولون انهُ لم يكن بها روم ولكن رهبانية على دين الروم من النصرانية ثمَّ دخلها الشراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره الى الهند وكان نزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانيَّة

ويثبت انتشار النصرانيَّة في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمهُ كُلَيب بن اسد:

انت النبيُّ الذي كنَّا نُخَبِّرهُ وبشَّرتنا بك التوراةُ والرسلُ

فكفى بهذا دليلًا على وجود النصرانيَّة في حضرموت (١

﴿ عُمان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيَّة دخلت اليها بواسطة دُعاةٍ اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيَّة اسماء اساقفة كانوا في عمان (وهم يدعونها مَزُون) منذ القرن الخامس كيوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشربيل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦). وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجَّهها الى ملك عُمَان المسمَّى جَيفر بن الجلندى من ازد عُمَان كان نصرانيًّا هو واخوهُ عَبَّاد ويقال عَبْد وعُبَيد. فنصرانيَّة الملك تشير الى نصرانيَّة البلاد الخاضعة له

وكان في عمان اديرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني. وجاء في تاريخ ابن الاثير (١: ٢٣٤) انَّ قيس بن زهير «لما تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهَّب بها»

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليَّة الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهليَّة من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيَّتها قال الشاعر ذو الرُّمة في بعض احيانهم (اطلب نسخة مكتبتنا الخطيَّة (ص ٥٧):

---

١) اطلب (Wellhausen: *Skizzen u. Vorarbeiten*, IV, 178)

وكنَّ اصلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد الى الهند. ولاهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها ابًا عن جدّ حتى اليوم ولشار اليها السيَّاح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد كصورة الصليب يرسمونها على جباههم او يطبعونها بالوشم على اعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرًا بالقربان الاقدس. وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيَّتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٠٨) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطر وهم يسمّونها بيت قطرايا (١. ويذكرون في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب اهلَ البحرين المتنصرين ويأمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والّا اعفوهم من ذلك لاجل الضرورة. وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ ﻫ (٦٧٦ م) دُبّر فيهِ الآباء عدَّة امور دينيَّة. ومنهُ يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والاديرة ودُعاة الدين وكان اذ ذاك على قطر اسقف اسمهُ توما

وكان قصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ وورد ذكر اسقف آخر يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دارين ويقال دَيرين ذُكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة بولس سنة ٤١٠ ويعقوب ٥٨٥ ويشوعباب سنة ٦٧٦ (٣

---

١) اطلب كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثاً (J. B. Chabot: *Synodes Nestoriens*, p. 189 et 448)

٢) اطلب كتاب المجامع المذكور: (Ibid. 387, 482)

٣) فيه (Ibid., 482, 618)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب اليها الرماح الخطيَّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان للناطرة فيها كنائس ذُكر من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (١

﴿ اليمامة ﴾ وربما سُمّيت بالعروض والجوّ وتُلحق باقليم الأحقاف هي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً كانت قصبتها حَجْر بفتح اولها مدينة كبيرة. والعرب يجعلون فيها قوماً من الجبابرة من طسم وجديس. وما لا ينكر انّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة المشرق ذكر ان عبد يشوع السائح بشر بالنصرانيَّة في جهات اليمامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكّان اليمامة قبل الاسلام بني حنيفة ممّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (٢ وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن عليّ الذي كان اسر قوماً من بني تميم ثمّ اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يمدحهُ لفعلهِ:

بهم يقرِّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

على انّ بعض الكتبة زعموا انّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثمّ اتت عليهم سنة فاكلوهُ فهجاهم البعض بقولهِ:

اكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعةْ
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتباعةْ

وعندنا انّ هذه الشكوى باطلة وانّ الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنم من عجين انَّما خُدعوا بما رأوهُ من تقرّبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسدّ جوع كثيرين في أيام القحط فضلاً عن كون العجين اليابس العتيق لا يصلح لأكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليمامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي

---

١) نبو Ibid., 387, 482

٢) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.): *Islam, his History and Relations to Christianity* p. 54

عُرف بالكذّاب وكان نصرانيًّا هو وسجاح التغلبيَّة امرأتهُ . وقيل انَّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآنًا كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردّهِ على الهاشمي (ص ٨٧ من طبعة اكسفرد) فدخل عليهِ قوم ليلًا واغتالوهُ وكفوا شرَّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيَّة في البلاد العربيَّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان الدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الّا الفوائد الزهيدة

(له تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Rudimenta Linguæ Hebraicæ scripserunt Dr C. H. Vosen et Dr F. Kaulen, 9a ed. quam recognovit et auxit Prof. J. Schumacher, *Fribourg, Herder*, 1911, *XI*-171, *broché* 2,50

اصول اللغة العبرانية

لهذا الكتاب صفات ممتازة جلبت اليهِ انظار طالبي اللغة العبرانيَّة حتى انَّ طبعهُ أُعيد لتاسع مرَّة في هذه السنة. ومن اخصّ هذه الصفات انَّ لاتينيتهُ واضحة خالية من كل تعقيد وهو يحتوي من اصول العبرانيَّة ما يكفي لفهم الاسفار المنزلة عمومًا. وهو على ثلاثة اقسام قسم نظري يفسّر صرف اللغة وتركيب جملها. وقسم عمليّ فيهِ منتخبات شتّى من الكتب المقدَّسة تصلح للترجمة او للتمارين اللغويَّة. والقسم الثالث فيه اخصّ المفردات التي يحسن بالدارس حفظها مع معجم للالفاظ الواردة في نصوص الكتاب. فترى انَّ هذا التأليف مع صغر حجمهِ ينوب عن عدَّة تآليف ويصلح ليس فقط للمدارس التي اعتادت درس العبرانيَّة ولكن لكلّ من يحبّ ان يطلع في وقت قصير على فرائد هذه اللغة وخواصّها. وممَّا نشير بهِ الى متولي طبعهِ ان يتخذ الامثلة من اجزاء الاسفار المقدَّسة النثريَّة ويذكر موضعها في التوراة ليعود الدارس اليها في مرجعها ويفحصها في متنها وقرائنها

ب. جوون

DICTIONARIUM SYRIACO-LATINUM, ed. altera, auctore **P. J. Brun, s. j.**, *Beryti*, 1911, in-12, XII-765.

معجم سرياني لاتيني

هذا دليل حيّ على اعتناء الاوربيين باللغة السريانيّة. فانّ معجم المرحوم الاب يوسف برون طُبع لاوّل مرّة سنة ١٨٩٥ وظهرت اذ ذاك معاجم اخرى من جنسهِ فاقتضى الامر اعادة طبعهِ بعد ١٥ سنة فقط. ولمّا كان المؤلف قد انتقل الى رحمة ربّهِ مُنذ عشر سنوات كان بودّنا ان نتولّى تصحيح الكتاب كما ساعدناهُ قبلًا في طبعهِ الّا انّ وفرة الاشغال اضطرّتنا الى ان نعوّل في هذا الامر على احد علماء المستشرقين البلجيكيين نزيل كلّيتنا سابقاً الاب بولس بترس (P. Peeters) اليسوعي من جماعة البولنديين الشهيرة فاجاب الى ملتمسنا بكلّ لطف وما ادّخر وسعاً في معاينة الكتابة واصلاح اغلاطهِ وتحسينهِ بزيادة الفاظ عديدة كان المؤلف سها عن ذكرها فجمعها بمطالعتهِ الخاصّة او استفادها من ملحوظات المرحوم المسيو دوفال (M. R. Duval) فجاءت الطبعة الجديدة حافلة بالفوائد موافقة لمرغوب الدارسين بل لتمنّي الاساتذة المستشرقين فنشكر همّة حضرة الاب ونثني على حضرة الخوري بولس طعمه الذي ساعدهُ في مراجعة المسوّدات جازاهما الله كليهما كلّ خير

ل. ش

DOCUMENTS INÉDITS pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient publiés par le P. A. Rabbath s. j., T. II, 2d fasc., 1911, p. 209-408

الآثار المخطّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة جمعها الاب ا. رباط اليسوعي

قد بيّن تعريفنا لهذا الكتاب (في المشرق ١٠: ٧٤٥ — ٧٥١) ما يحتويهِ من الكنوز الادبيّة والتاريخيّة الثمينة التي كانت حتى اليوم مدفونة في زوايا المكاتب فاعادها ناشرها الى الحياة بعد سُباتها الطويل. وهذا القسم الخامس من المجموع ليس باقلّ جدوى من الاقسام السابقة فيه مقالات مسهبة تعرّف احوال بلاد الشام عموماً واعمال النصارى والكاثوليك خصوصاً في القرنين السابع والثامن عشر بعضها اوراق رسميّة من قلم سفراء الدولة الفرنساويّة او قناصلها وبعضها مكاتبات ورسائل

من رؤساء الرهبانيّات اللاتينيّة ضمّنوها المعلومات التي رأوها جديرة بالذكر والتي من شأنها ان يُستند اليها في تاريخ بلادنا اذ هي اصدق صورة لما كان يجري في ذلك العهد من الاحداث المهمة كتبها اصحابها خالين من كلّ غرض اذ لم يخطر على بالهم انّها ستنشر يوماً بالطبع. فشكرًا لكاتبيها وشكرًا لمن لم يضنّ بالاتعاب ليخرجها من اضابير المكاتب الى عالم الوجود ل. ش

Un Interprète du Général Brune et la fin de l'École des Jeunes de Langues par H. Cordier, *Paris, Impr. Nationale*, 1911, p. 89

المترجمون التراجمة في الدولة الفرنسويّة

مذ توفّرت العلاقات بين فرنسة وجهات الشرق لا سيّما البلاد العثمانيّة عرف الفرنسويون انّهم في حاجة لتدبير امورهم الى شبّان يتخرّجون منذ حداثة سنهم في مدارس اعداديّة توهّلهم لخدمة وطنهم في البلاد الاجنبيّة بصفة تراجمة او عمّال في السفارات والقنصليّات الشرقيّة. فاختاروا لهذه الغاية اوّلاً احداثاً شرقيين سلّموهم الى اليسوعيين في باريس ليهذّبوهم ويعلّموهم ثمّ يرسلوهم الى وطنهم ليقوموا بخدمة الدولة الفرنسويّة. ثمّ رأوا انهُ الاولى بهم ان يختاروا صغارًا من الفرنسويين لا سيّما المهاجرين الى الشرق فيتولّوا بعد ذلك خدمة وطنهم. وهذا المشروع قد اتى بنتائج حسنة اذ خرج بين اولئك الشبّان كثيرون ممّن شرّفوا وطنهم وادّوا له خدماً لا تحصى. فاحبَّ احد المستشرقين المسيو كورديه من اعضاء مكتب فرنسة الاعلى ان يجمع اخبار هؤلاء التراجمة منذ انشاء مدرستهم وما طرأ عليها من التقلّبات الى ان أُلغيت سنة ١٨٧٣ مع ذكر بعض المشاهير الذين خرجوا منها لا سيّما المسمّى جوانين (Jouannin) المولود سنة ١٧٨٣ والمتوفّى سنة ١٨٤٤ بعد ان تقلّب في عدّة مأموريات وخدم خصوصاً دولتهُ كمساعد للجنرال برون لمّا أُرسل كسفير الى الاستانة سنة ١٨٠٢ الى ١٨٠٤. فلهذا التاريخ كما ترى علاقة مع اخبار الشرق يفيدنا عن اهتمام الاوربيين بلغاتنا واجتهادهم على التقرّب من الشرق واهله ل. ش

LOURDES—Les Apparitions, par le C^te Jean de Beaucorps, in-10, *Paris, Bloud et C^ie*

ظهور العذراء مريم في لورد

اضحت لورد شظّى في حلق الكفر وقذًى في عين ناكري الوحي فانَّ العجائب

التي تجري هناك اضحت كالشمس الباهرة النور لا يستطيع ان يغضّ عنها النظر الّا الاعمى الاختياريّ. وقد اخبرنا من حجّوا الى ذلك المزار في السنة الجارية من اهل الشام انّهُ حدث في يوم واحد اربع عشرة معجزة شهدوا بعضها بالعيان وتحقّق صحتها قوم من الاطبّاء. فكلّ هذه الآيات تثبت ايضاً صدق الفتاة برنادت التي رأت مرارًا البتول الطاهرة سنة ١٨٥٨ في لورد واضحى مذ ذاك الوقت مكان ظهورها مشهدًا للعالم باجمعهِ وبرهاناً قاطعاً على صحّة الدين الكاثوليكي الذي وحدهُ يقدر يفتخر بمثل هذه الخوارق المثبتة بالعلم والفحص المدقّق. وهذا ما بيّنهُ صاحب كتاب حديث ترى عنوانهُ في اوّل هذه النبذة وهو من اعلم الناس بما كتب ولوعب

الاب ج. هرنو

ظفر الصليب – ظلم العالَم اهل الخير

خطبتان لبوسويه وماسيّون عرّبهما الشمّاس توما ديبو المعلوف

طبعتا في المطبعة البطريركية في دمشق سنة ١٩١٠ (ص ٢٩ و٤٥)

يا حبّذا لو اقتدى عارفو اللغتين الفرنسويّة والعربيّة بمثل حضرة الشمّاس ت. د. المعلوف الرومي الارثذكسي الذي اقتطف هاتين الخطبتين من إمامَي الخطباء عند الفرنسويين اي بوسويه (Bossuet) وماسيّون (Massillon) فنقلهما الى العربيّة لينال من دررهما الثمينة اهل بلادنا بدلًا من تلك الروايات الخلاعيّة التي تفسد اخلاق الشبيبة وترمي بالنفوس والاجساد معاً في حمأة الرذائل. وترجمة المؤلف سهلة لا تكلّف فيها مع الامانة والضبط في النقل ل. ش

لمة اختباريّة وفنيّة في الحُمّى التيفوئيديّة

بقلم الدكتور حنّا خيّاط

بطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩١١ (ص ٤٢)

بين الامراض التي تفتك في انحاء بلادنا فتجلب عليها الويلات حُمّى التيفوس التي ضربت اطنابها على جهات الشرق منذ اجيال مديدة الّا انّ القدماء لم يحسنوا تعريفها فخلطوها بحمّى المستنقعات وانّما ثبتت حقيقتها منذ امد قريب فجعل الاطباء يتخذون التدابير لمعالجتها. ولم يكتب فيها اطباؤنا الشرقيون غير الفصول القصيرة فاستدرك هذا الخلل جناب الدكتور حنّا افندي خيّاط المتخرّج في مكتبنا الطبيّ

ووضع هذا الكتاب في تسعة ابواب بحث فيها عن تاريخ الداء وتشخيصه واسبابه واطواره واشكاله والوقاية منهُ سابقاً ومعالجته عند وقوعه كلّ ذلك بكلام واضح وحجج مقنعة واسانيد علميَّة ثابتة. وقد رفع الدكتور كتابهُ الى مقام والي ولاية الموصل طاهر باشا الذي انتدبهُ الى معالجة هذا الداء في السجن العمومي فنجح بالعمل النجاح التام. فنحضّ اهل بلادنا على مطالعة الكتاب ونشره لفوائده ونهنّئ المؤلف على هذه باكورة كتاباته مع الرجاء ان يشفعها قريباً بامثالها ل. ش

رواية يا حسرتي عليك يا زعيتر

تأليف شكري افندي الخوري

طُبع بمطبعة «ابو الهول» سنة ١٩١١ في سان باولو برازيل ص ١٨٢ (الجزء الاول)

عوَّدنا مؤلف هذا الكتاب على تمثيل العادات اللبنانيَّة على احسن صورة وابهج طريقة في روايات تتناولها القلوب قبل ان تتزاحم عليها ايدي القرّاء. وقد سرَّنا ان نصفها في الشرق لما يُستفاد منها من معرفة اخلاق اللبنانيين ولهجتهم وامثالهم وتصرُّفهم في معاملاتهم مع الاقارب والاجانب وتخلُّقهم باخلاق اهل البلاد التي يحتلُّونها وهذا اثر جديد من ذلك القلم السيَّال سوف يرحب فيهِ الوطنيُّون اذ يجدون فيهِ مرآة حياتهم والمستشرقون لانهم يتوقون الى درس طباع الشرقيين لاسيا اذا كانوا كزعيتر على فطرتهم الطبيعيَّة وغريزتهم الاصليَّة لم يستعيروا من الافرنج ازياءهم المستحدثة. فنشكر المؤلف على هذا الصنف الجديد ونتمنى ان ينجزهُ قريباً على احسن طريقة فيعرف زعيتر وامثالهُ انَّ في المهاجرة من الاهوال ما يسهل بجانبه ضيق حال الوطني في جبله لبنان فكفى بالوطن راحة بال وطمأنينة فكر وهناء عيش بصحبة الاهل والاقارب ل. ش

١ حكاية الملك ازادبخت — ٢ غرازيلا — ٣ المسيح في الفاتيكان

ثلاث حكايات ليس تحتها كبير امر وافضلها (الاولى) وهي مطبوعة في الخرطوم ومعرَّبة عن الهندستانيَّة بقلم البكباشي امري سنة ١٩٠٤. يستفاد منها معرفة احوال الهنود وعاداتهم واخلاقهم وهي معرَّبة عن كتاب شاع في الهند باسم باغ وبهار اي البستان والينبوع يشبه بعض حكايات الف ليلة وليلة. (والثانية)

رواية للشاعر الفرنساوي لامرتين عرَّبها اسكندر افندي كرباج ونشرها في سان باولو وهي خياليَّة غراميَّة اخلاقيَّة. اما كونها « فلسفيَّة ادبيَّة » فلسنا نصادق عليه وكان الاولى بالمعرِّب ان يخصَّ قلمهُ بما هو انفع من هذا. امَّا (الثالثة) المسيح والواتيكان فهي رواية كاذبة كافرة اساء كاتبها فيكتور هوغو لمَّا صنَّفها قبل ستين سنة وزاد قباحةً عليه مترجمها ف ف وطابعها استيان بنوصيان بعد ان اكل الدهر عليها وشرب وسقط شبه حقيقتها اذ لم يعُد الحبر الاعظم يملك على رومية. فتحقَّقنا صدق ما كتبهُ شاعرنا العصريّ ر. ب في مجانب الدهر عن ف. ف

يا فارس الجيش غيِّر هذه النغا وذقْ وصالحْ وأصلحْ ان تشا أمما
واترك حروباً وغارات وسفك دما اخشى عليك اذا ما السكرُ انحسا
فطعمُكَ المُرُّ لا ينجو من الطبِ
وذر شؤوناً لنواب لنا رصنوا قد عاركوا الدهر لم تنتصهم الفطنُ
فكثرة القول تأتي بعدها الفتنُ يا من به قد غدا يفترُّ ذا الوطنُ
دع ساحة البرج للبطيخ والعنبِ

هدايا أُرسلت الى مجلة المشرق

١ منشور رعائي للسيّد الجليل بولس بطرس ترزيان بطريرك قيليقية وجاثليق طائفة الارمن الكاثوليك. عرَّبهُ الورتبيت باسيل قليوغيان النائب البطريركي للارمن الكاثوليك في بيروت. وهو المنشور الجزيل الافادة الذي نُشر تباعاً في البشير ثمَّ طبع على حدة

٢ الآثار مجلة عامَّة شهريَّة لمنشئها ومديرها المسؤول جناب الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني كل ٣٢ صفحة تطبع موقَّتاً في دمشق

٣ البيان مجلة ادبية علميَّة اثريَّة لصاحبيها عبد الرحمن البرقوقي ومنشئيها عبد الرحمن البرقوقي ومحمَّد السباعي. تظهر مرَّة في الشهر في ٨٠ صفحة وتُطبع في مصر

٤ برنامج الجمعيَّة المارونية في راس بيروت لسنتها الثالثة ١٩١٠ (ص ٣١)

٥ برنامج جمعية اخوة التعليم المسيحي بحلب للسنة العشرين من تأسيسها. طُبع في حلب في المطبعة المارونيَّة (ص ٤٤)

شَذَرات

مكايد البابويَّة ويا لها من مكايد بل مصائد لم ينصب مثلها « اللصوص وقطَّاع الطرق » (كذا) وقد اكتشفها كولمبوس جديد فرقي منبر « البلاغ » ليس البلاغة فحذَّر المسلمين في عدده (١٩) من ويلاتها بل نفخ في البوق

ودعا قومهُ الى الجهاد واستلّ سيف التحمّس الديني فاقطره دماً ولا غرو فانهُ « الباقر ». وما ادراك ما تلك المكايد اسمع واحكم قال « ان حكومة البابا قد غدرت بدولة الخلافة الاسلاميّة العظمى ». وان سألت النذير حجةً على هذا الزعم الغريب اجابك « انّ دولة الطليان هي حكومة البابا اكبر رئيس دينيّ للنصارى وما حرب ايطاليا لطرابلس الغرب الّا حرب صليبيّة اثارها البابا » . فمن هذا الجواب علمنا مبلغ صاحب البلاغ من العلم في التاريخ والآثار والجغرافيّة في هذا عصر النور فاخذنا الاسف على الكاتب والقارئ والطابع وتمنّينا لو رجعت المراقبة الحميديّة للمطبوعات لتضع حدّاً لمثل هذه السفاسف وتحقّقنا صحة ما كتبهُ مجتهدٌ على جدران المدينة في كلّ احيائها « الى العلم ايها الولد الى العلم » وما الولد هنا الّا صاحب البلاغ وكل من انخدع بكلامهِ. ولو سأل الكاتب اجهل صغار مدارسهِ لاعلمهُ انّ ايطالية اغتصبت رومية والاملاك البابويّة فحرم الحبر الروماني مقتضي دولتهِ وهو اليوم سجين الواتيكان لا جيش له الّا رسل السلام ولا اسلحة غير ادعيتهِ ولا راية الّا صليب المسيح. فتأمّل وابكِ على التعصّب الاعمى!

النهضة الادبيّة على مآتم الماسونية — اهدانا الكومندان كوينيه (Commandant Cuignet) عشرة اعداد من مجلتهِ الحديثة التي انشأها لمعارضة الماسونيّة وكشف مآتمها الخفيّة (La Revue Antimaçonnique) فاذا فيها من المعلومات ما يثبت ما كتبناهُ في مقالاتنا السابقة (السرّ المصون في شيعة المصون) فنشكر للكومندان لطفهُ ونحرّض القرّاء على الاشتراك بمجلتهِ الحافلة وهي تُطلب من باريس بهذا العنوان (Paris (VI[e]) 66, rue Bonaparte) كما اننا نفيد قرّاءنا عمّا كتبهُ لنا عن قرب عقد مؤتمر في عاصمة فرنسة لمناهضة الماسونيّة من ١٠ الى ١٥ تشرين الثاني فيا ليت احد مواطنينا يستطيع ان يحضر جلساتهِ مع ممثلي الدول الآتين من كلّ البلاد الاوربيّة كبلجكة وروسيّة وسويسرة وهولندة حتى مصر ويشهد على سوء اعمال الماسونيّة في بلاد الشام كما في غيرها من اقطار المعمور

عاديّات تركستان وآسية الوسطى — ان الآثار الجليلة التي اكتُشفت في تركستان الصينيّة واواسط آسية استلفتت اليها انظار كلّ الدول منذ عشر سنوات. واوّل من اشار الى وجود تلك العاديّات عالم من الهنود اسمهُ سقّان

هدين (Sven Hedin) . فما بلغت كتاباتهُ الى اوربة حتى تهافت السيّاح من كلّ البلاد ليحيوا شيئاً من تلك الكنوز . فرحل المسيو ستين (Stein) سنة ١٩٠٠ بإيعاز الدولة الانكليزيّة ثمّ المسيو فون لوكوك (von Lecoq) باسم الدولة الالمانيّة وكذلك اوفد الميكادو ملك اليابان صهرهُ الكنت اوتاني الى مراقبة تلك الآثار . ولم تتأخر روسيّة وفرنسة عن مجاراة بقيّة الدول . ولعلّ المتمدد الفرنسويّ المسيو پاليو (Pelliot) كان اقدرهم على العمل لحسن معرفتهِ باللغة الصينيّة التي كان اتقنها سابقاً . وكلّ هؤلاء تجوّلوا في انحاء تلك البلاد في اطرافها الاربعة فوجدوا من آثارها المتمدّنة ما تناوهُ الى متاحفهم . امّا مكتشفات تلك البلاد فهي اوّلًا مدن كان سجّاها الرمل بكفنهِ فدفنها وصانها من الاذى فوجدوا ابنيتها في غاية الاتقان بينها النقوش والتصاوير الهنديّة الملوّنة ثم الخزفيّات والتماثيل العجيبة منها كبيرة ومنها صغيرة ثم الانسجة المختلفة من الحرير وغيرهِ ثم النقود والصكوكات القديمة . ثم كتابات جدرانيّة وخزائن كتبيّة تحتوي مئين من التآليف بالصينيّة والسنكريتيّة والتّبتيّة والتركيّة القديمة والفارسيّة والعبرانيّة والسريانيّة وهذه الآثار مكتوبة على الياف من قشر شجرة السندر (bouleau) منها علميّة وطبيّة ومنها ادبيّة ودينيّة يتراوح زمانها بين القرن الخامس للمسيح الى التاسع . وقد اخذ العلماء في فحص تلك الآثار وقراءة مخطوطاتها وقد تحقّقوا الآن انّ عمران تركستان مزيجٌ من التمدّن الصينيّ والهنديّ والفارسي واليوناني . امّا الدينيّات فتدلّ على انّهُ اجتمع في تلك الجهات اخلاط من اديان البوذيين وقدماء المجوس وشرك اليونان وبدعة ماني والنصرانيّة بينها عدّة آثار نقلها الى تلك البلاد المرسلون من النساطرة وقد وجدوا بين الكتابات قطعاً من طقوسهم الدينيّة . وكذلك وجدوا آثاراً من لغات لم يتوفّقوا حتى الآن الى قراءتها او هي من فروع اللغات الهنديّة البائدة والعلماء المستشرقون ينفدون الوسع في تفسير هذه البقايا الجليلة ونشرها فانها احسن شاهد على تاريخ تلك الامم المجهولة تفيدنا عن كلّ احوالهم في دينهم ودنياهم

طريق العبرانيين من مصر الى ارض الميعاد — هو بحث عويص تعدّدت فيهِ الآراء . بل زعم بعضهم انّ رواية سفر الخروج لا صحّة لها ولا توافق جغرافيّة القطر المصري . غير انّ الآثار البرديّة المكتشفة حديثاً أتت مؤيّدة للكتب

المنزلة اخصّها اثرٌ وُجد مؤخرًا في صفارة يرتقي الى عهد بطليموس المعروف بفيلادلف او محبّ اخيهِ في القرن الثالث قبل المسيح فيهِ اسماء عدّة مدن من مصر السفلى حيث كان الاسرائيليّون من جملتها بيتوم تكو وهي مدينة سكّوث (خر ١٢ : ٣٧) التي اجتمع فيها بنو اسرائيل للفصح الاخير وفقاً لامر موسى النبي. ثم بحيرة خرتا الواقعة لوادي سبا ابيار حيث كان حصنٌ ذكرهُ في التوراة ودعاهُ بحيروت (خر ١٤ : ٢) ثم مجدول التي كان موقعها قرب نفيشة. ثم مجدول أُخرى دعاها بعل صفون كانت بازاء بني اسرائيل لمّا ادركهم المصريون بعد فرارهم كما روى سفر الخروج (١٤ : ٢) وهذا المجدل قريب اليوم من مكان يدعى شيخ خنادق والتقليد المحلّي الى الآن يجعلهُ على ممرّ الاسرائيليين. وهذه الامكنة الثلثة قد جمعها صاحب الاثر البردي كما هي مجموعة في التوراة وذلك ما يقضي بجعل عبور الاسرائيليين للبحر قريباً من سويس جنوبيّ بحيرة التمساح. والممرّ هناك حرج قصير والماء قليل فلمّا ضربهُ موسى بعصاه قسمهُ الله امام شعبهِ فقطعهُ واجتاز الى بريَّة سينا. فاخذ المسيو دارسّي (Daressy) من علماء العاديّات المصريّة هذا البابير وبنى عليهِ خطاباً مهمّاً القاهُ في نادي المكتب العلميّ المصري بحضور نخبة اهل القاهرة. فسبحان الله الذي يستخرج من اعماق الارض بيّنات جديدة لتأييد كتبنا المقدّسة

الاب اليسوعي بيارلين وقيصر روسيّة بين مشاهير الروسيين الذين عدلوا عن الكنيسة السكرقيّة الى الكثلكة في اواسط القرن السابق واواخرهِ حضرة الاب بيارلين (Pierling) اليسوعي الشهير بمؤلّفاته الشرقيّة في انحاء اوربّة وهو اليوم نزيل بروكسل بين الآباء اليسوعيين البلجكيين المنتمين الى جماعة البولنديين يتولّى ادارة فرع مكتبتهم الواسعة الخاصّ بالمطبوعات الروسيّة والصقليّة. فاحبّ جلالة القيصر ان يجاملهُ بهبة ملكيّة على يد الغرندوق نقولا فاتاهُ منهُ هذا النبأ التلغرافيّ: « انّ جلالة القيصر قد رخّص لي بكل تلطّف ان اهديك مجموع كلّ الشرائع الروسيّة فيسرّني ان ابلغك بخبر هذه المنّة الملكيّة ». وهذا المجموع من اجمل آثار المطبعة القيصريّة لا يقلّ عن ١٣٠ مجلداً ضخماً

اسئلة واجوبة

س سأل مكاتب مصري أصحيح ما رُوي في بعض المجلات المصريّة انّ الجمجمة البشريّة ثابتة بالتناسل على الهيئة الواحدة لا تختلف مع اختلاف الامكنة وانّ ذلك دليل على عدم تفرُّع البشر من ابوين اوّلين

ثبات الجمجمة البشريّة

ج هذا زعم كان بناه بعض العلماء على ملحوظات قليلة الّا انّ التعمّق في البحث قد ابطل هذا الرأي. وممَّن اثبتوا فسادهُ الاميركي فرنتس بواز (Fr. Boas) في كتاب نشرهُ في العام الماضي في واشنطون وبيَّن اولاد اليهود الشرقيين واهل صقلية المولودين بعد مهاجرة اهلها الى الولايات المتحدة يصيب جماجمهم تغير في الهيئة. وكان سبقهُ عالمان آخران فرنسويّان المسيو بارو (Baraux) والمسيو سرجان (Sergeant) فبيَّنا وقوعَ هذا الاختلاف في اولاد اهل بيكارديا والفلمنك. وكان القدماء قد لحظوا الامر قبل ذلك فقال تاقيتس المؤرخ « ان الاجسام البشريّة تختلف اعراضها مع اختلاف البلدان »

س وسألنا دولة البرنس دي ساكس اخي ملك ساكس الذي تجوَّل حديثًا في بلادنا ماذا نعرف عن مصوّر يدعى ميخائيل الشامي وجد اسمهُ على صورة بوزنطية تاريخها سنة ١٦٥٠ ميخائيل الشامي

قد فتَّشنا على اسم هذا المصوّر واخبارهِ وحتى الآن لم نحظ بالمرغوب ولعلَّ احد قرّائنا لهُ به علم فيطلعنا على سيرتهِ ولهُ منّا الشكر

س وسألنا في الرأي العام (العدد ٤٣١) المسمّى م.م نجم.« من هو ح.م اللبناني ناظم القصيد الذي تقلناه في الصحيفة ٥٠ من كتابنا السرّ المصون (الكرّاس السادس) ومن اي كتاب نُقلت تلك القصيدة »

القصيد الماسوني

كان بودنا ان نُعلم السائل من هو ح.م الّا انّ ذاك الماسوني كجميع اخوتهِ الماسون تستر تحت حرفين مجهولين. وقصيدهُ لم يظهر في كتاب مطبوع وانما كتبهُ واشاعهُ في بعض انحاء لبنان فاوقفنا عليهِ احد اصحابنا من بكفيا كما وجدهُ وقد ردّ عليهِ مكاتبنا بقصيد مثلهُ لم ننشرهُ لانَّ في ابيات الماسونيّ ما يكشف القناع عن خبث الشيمة وينفّر منها كلّ ذوي دين وأدب

ل.ش